الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية

مذكرة بعنوان:

المباحث اللسانية في مقدمة ابن خلدون

مذكرة مقدمة كجزء من متطلبات نيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها

إعداد الطلبة:
- أسماء حوامدي
- سمية سلطاني
- صليحة ميسة
- هاجر معلول

إشراف الأستاذ:
- العزوزي حرزولي

السنة الجامعية: 1434- 1435هـ
2013- 2014 م

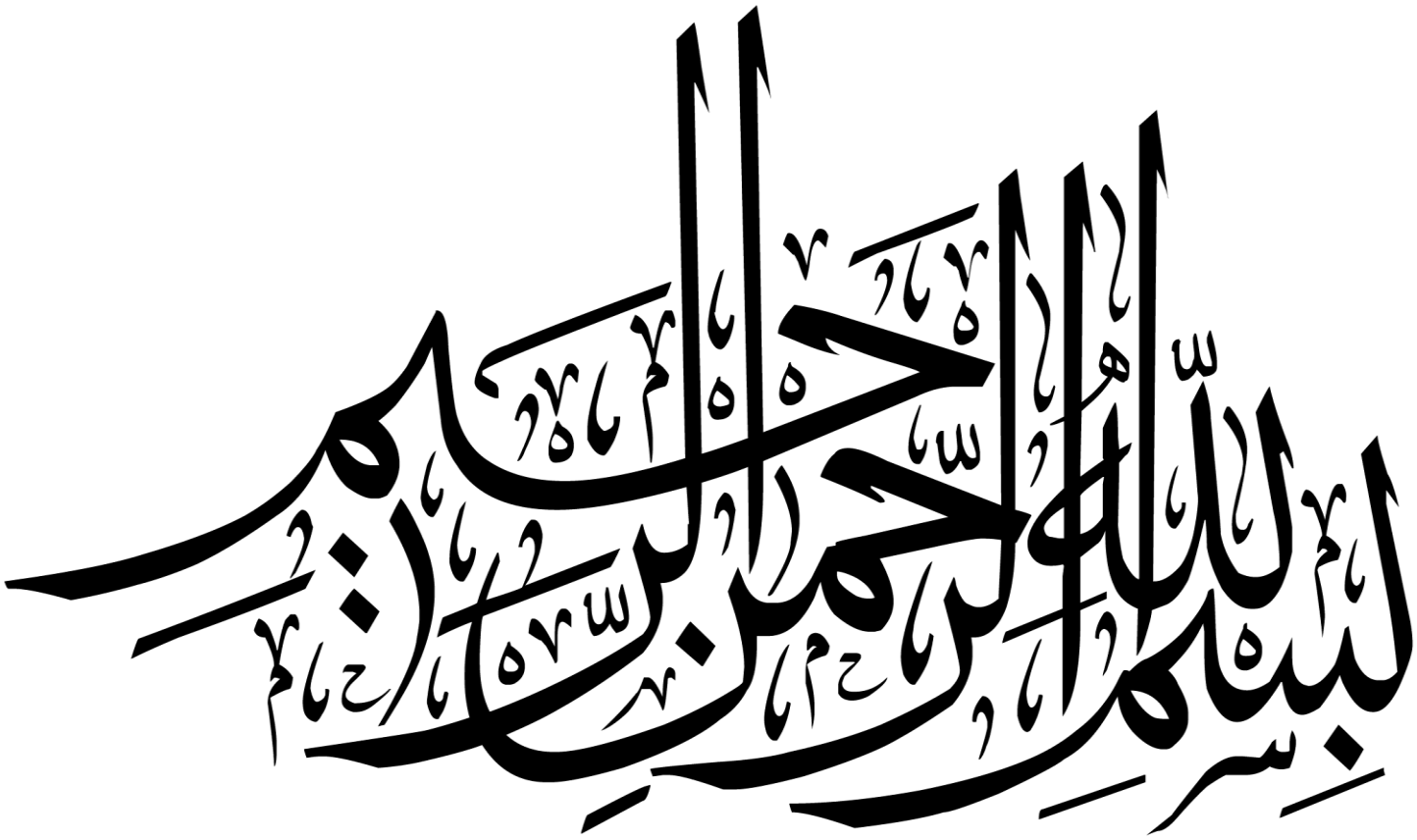
بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي
يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾

[سورة النحل: الآية 103]

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداءات	
المقدمة	أ - ج
المدخل	**04 - 18**
توطئة	**5**
المبحث الأول: ترجمة لصاحب المقدمة	6
أولا: التعريف بابن خلدون	7
ثانيا: مسيرته العلمية	8
ثالثا: وفاته وثناء العلماء عليه	11
المبحث الثاني: ماهية مقدمة ابن خلدون	13
أولا: التعريف بالمقدمة	14
ثانيا: أسباب وضع المقدمة	16
ثالثا: محتوى المقدمة	17
الفصل الأول: لمحة عامة حول المباحث اللسانية من القديم إلى الحديث	**19-35**
توطئة	20
المبحث الأول: البحث اللغوي المفهوم والنشأة	21
أولا: مفهوم المباحث اللغوية أو اللسانية	22
ثانيا: نشأة البحث اللغوي	25
ثالثا: موضوع البحث اللغوي	26
المبحث الثاني: قضايا البحث اللغوي	28

أولا: مفهوم اللسانيات	29
ثانيا: مناهج اللسانيات	30
ثالثا: أهداف البحث اللساني	33
رابعا: مراحل تطور البحث اللساني	33
الفصل الثاني: دراسة تفصيلية لأهم المباحث اللغوية	**82-36**
توطئة	**37**
المبحث الأول: المستوى الصوتي	38
أولا: ماهية علم الأصوات	39
ثانيا: الأصوات بين القدامى والمحدثين	39
ثالثا: فروع علم الأصوات	46
المبحث الثاني: المستوى الصرفي	49
أولا: ماهية علم الصرف	50
ثانيا: علم الصرف بين القدامى والمحدثين	50
ثالثا: اختصاصات ومسائل في علم الصرف	57
المبحث الثالث: المستوى النحوي	58
أولا: ماهية علم النحو	59
ثانيا: الدرس النحوي بين القدامى والمحدثين	59
ثالثا: نشأة النحو	65
رابعا: أهمية النحو ودوره	70
المبحث الرابع: المستوى الدلالي	73
أولا: ماهية علم الدلالة	74
ثانيا: الدرس الدلالي بين القدامى والمحدثين	74
ثالثا: نشأة علم الدلالة	80
رابعا: مناهج علم الدلالة	80

الفصل الثالث (التطبيقي): علوم اللسان في المقدمة	115–83
توطئة	84
المبحث الأول: علم النحو	85
أولا: أسبقية علم النحو على العلوم الأخرى	86
ثانيا: أهم القضايا التي عالجها ابن خلدون في علم النحو	87
ثالثا: مراحل تطور علم النحو في نظر ابن خلدون	88
رابعا: علاقة علم النحو بظاهرة الإعراب في النظرة الخلدونية	91
المبحث الثاني: علم اللغة	94
أولا: نظريات نشأة اللغة وموقف ابن خلدون منها	95
ثانيا: أسباب وضع علم اللغة عند ابن خلدون	99
ثالثا: مراحل تطور علم اللغة عند ابن خلدون	100
رابعا: علم الأصوات عند ابن خلدون	101
المبحث الثالث: علم البيان	104
أولا: تصنيفات علم البيان	105
ثانيا: أهم أعلام علم البيان وأعمالهم	105
ثالثا: أبرز القضايا التي طرحها ابن خلدون في علم البيان	106
رابعا: أهمية دراسة علوم البيان في فهم علوم القرآن	108
المبحث الرابع: علم الأدب	110
أولا: لمحة عامة عن علم الأدب	111
ثانيا: تصويره لثقافة أهل عصره	112
ثالثا: حديثه عن الشعر	113
الخاتمة	118-116
قائمة المصادر والمراجع	126-119

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة النور: الآية35].

نحمدك اللهم حمدا كثيرا، على نعمة الإسلام التي عزّتنا بين الشعوب، وعلى فريضة العلم التي أنارت القلوب، وعلى نور الهداية الذي أضاء لنا الدروب.

والعرفان الثاني إلى دواء القلب والروح إلى معلم الحياة الأول المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: « عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». رواه الترمذي.

ثم الشكر الجزيل مرفوقا بأسمى آيات العرفان لمن أطّرَ هذا العمل وزرع فينا بذور هذا الموضوع الأستاذ الدكتور: "حرزولي العزوزي".

وإلى كل الأساتذة الأفاضل الذين أكرمونا بنصحهم وإرشادهم والشكر كذلك إلى من أمدّ لنا يد العون من طاقم المكتبة وعمال إدارة معهد الآداب واللغات.

إلى كل الأهل والأصدقاء عربون محبة وإخلاص.

مقدمة

مقدمة

إن التطرق للمفاهيم اللسانية ليس بجديد في الدراسات اللغوية المبكرة التي تعرض لها علماء اللغة الأوائل وتعد من قبيل مباحث علم اللسان، فليس من الغريب أن نجد أنفسنا في بعض الأحيان نعود إلى قرون سالفة لنقارن نظرية لسانية معاصرة بفكرة أو أفكار لغوية عربية قديمة، ذلك أن هذه الأفكار تحتاج إلى عناية أكبر لإثبات دورها ومكانتها في الفكر اللساني العربي الحديث والعالمي بعامة.

من بين هذه الأعمال مقدمة ابن خلدون التي تناولت موضوعات متعددة ومختلفة في التاريخ والسياسة والاقتصاد والأدب، وهي بحق موسوعة علمية كبيرة، ومما لا يخفى أن المقدمة عبارة عن تمهيد لمؤلف ضخم أطلق عليه صاحبه تسمية "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لصاحبه "ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون"، هذا المؤلف ومن ضمن المسائل الهامة التي تعرض لها المستويات اللسانية التي عالجتها اللغة العربية في استيعاب اللغة العربية وذلك من خلال فهم النص القرآني والاستدلال بالحديث النبوي إلى جانب أن المقدمة لخصت جهود قرون عديدة.

وهكذا كان العنوان المقترح "مباحث لسانية عند ابن خلدون —من خلال مقدمته-" مما هو واضح من خلال العنوان، فإن غرض البحث إثبات مكانة هذا العلم في التراث من خلال مقدمة ابن خلدون في مجال المستويات اللغوية، فهي تحتوي على المادة اللازمة لإثارة مختلف جوانب هذا البحث، بالإضافة لما لهذا العلامة من فضل السبق إلى الإشارة لمثل هذه القضايا التي تبنتها اللسانيات القديمة والحديثة وعنيت بها عناية كبيرة...

والتساؤل بعد كل هذا هو: ما مدى تضمن مقدمة ابن خلدون وتضلعها على المباحث اللغوية التي ترتفع إلى مستويات النظريات أو أنها مجرد شذرات لا قيمة لها في الميزان اللغوي؟

ومن أجل الوصول إلى الإجابة على هذا التساؤل سنستعين بأسئلة فرعية مفادها:

- ما هي أحالة هذه النظريات في التراث العربي.
- ما مدى وعي العرب بالمباحث اللسانية بمفهومنا الحديث.
- ما هي المقدمة ومن هو عبد الرحمن بن خلدون؟
- ما هي المباحث اللسانية وحدودها؟
- ما هي أهم المستويات اللغوية التي اتبعها ابن خلدون في مقدمته؟

كل هذه الأسئلة وأخرى سيتم الإجابة عنها بين طيات هذه المذكرة التي جاءت وفق منهج تاريخي، وصفي، تحليلي، وقد اعتمدنا في التعمق والتغلغل في هذا الموضوع خطة كانت هندستها مبنية على المخطط التالي: مقدمة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة، فقد عرضنا في المقدمة الإطار العام للدراسة من حيث هدفها ومنهجها، أما المدخل فقد احتوى على ترجمة موجزة لابن خلدون إضافة إلى ذلك إلمامة سريعة حول مقدمته المشهورة.

أما الفصل الأول والثاني فكانا نظريين، الأول بعنوان: لمحة عامة حول المباحث اللسانية من القديم إلى الحديث تناولنا فيه البحث اللغوي من مفهوم ونشأة وموضوعات وكذا قضايا البحث اللغوي من خلال مراحل تطوره وأهدافه مع بيان مناهجه، وفي الفصل الثاني: دراسة تفصيلية لأهم المباحث اللغوية وضم بين طياته المستويات اللسانية الأربعة: صوتي وصرفي ونحوي ودلالي.

أما الفصل الأخير: فقد تضمن الجانب التطبيقي لهذا العمل، على أنه سيتم الالتزام بمعظم النقاط التي وردت في الجانب النظري لمعرفة ما جاء به ابن خلدون ومدى اتفاقه مع ما طرح سابقا من مباحث لغوية والموسوم بـــ: علوم اللسان في المقدمة. وقد تطرق ابن خلدون في مقدمته إلى دراسة علم النحو وعلم اللغة وعلم البيان وعلم الأدب.

وذيّلنا هذا البحث بخاتمة، فيها حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها، وعند إنجازنا هذا العمل اعترض سبيلنا بعض الصعوبات منها: شساعة هذا الموضوع واتساعه وتشعبه، والخوف من عدم الإلمام لكافة جوانبه وكذلك وفـــرة وكثرة المادة العلمية فيه، مما جعلنـــا نختار الأهم والمهم وفي مقدمتها: المقدمة للعلامة ابن خلدون نفسه والتي كانت محطّ الدراسة بالإضافة الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي، إحياء النحو لإبراهيم مصطفى، المباحث اللسانية لأحمد حساني، مبادئ في اللسانيات لخولة طالب الإبراهيمي...

ونافلة لما سبق نرجو أن نوفق في رصد كامل جوانب هذا الموضوع ولو بالكمّ البسيط، ونسأل المولى عزّوجل التوفيق والسداد في بلوغ المرامي وتحقيق الهداية والمعالي، لكل سالك لسبيل العلم والمعرفة.

المدخل

المبحث الأول: ترجمة لصاحب المقدمة

أولا: التعريف بابن خلدون

ثانيا: مسيرته العلمية

ثالثا: وفاته وثناء العلماء عليه

المبحث الثاني: ماهية مقدمة ابن خلدون

أولا: التعريف بالمقدمة

ثانيا: أسباب وضع المقدمة

ثالثا: محتوى المقدمة

توطئة:

لأهمية البيئة الاجتماعية في تكوين الفكر الإنساني ارتأينا أن نترجم تلك الشخصية العبقرية المتميزة، فقد كان عالما موسوعيا متعدد المعارف والعلوم والقدرات فهو المؤسس الأول بامتياز لعلم الاجتماع، وإمام ومجدد في التاريخ، كما كان له إسهامات متميزة في تجديد أسلوب الكتابة العربية.

وقبل الولوج في هذه الدراسة نعمد إلى التعريف بصاحب كتاب المقدمة عبد الرحمن بن خلدون من خلال حياته ومسيرته العلمية إلى غاية وفاته وثناء العلماء عليه.

وبعد ذلك نتطرق إلى التعريف أعظم مؤلفاته التي سنكون بصدد دراستها بعد ذلك نظريا وتطبيقيا، فنعرف المقدمة وأسباب وضعها مع بيان أبرز محتوياتها.

المبحث الأول: ترجمة لصاحب المقدمة

أولا: التعريف بابن خلدون

1) مولده وأسرته

2) نشأته

3) حياته

ثانيا: مسيرته العلمية

1) دراسته

2) أعماله

3) وظائف تولاها

ثالثا: وفاته وثناء العلماء عليه

1) وفاته

2) ثناء العلماء عليه

أولا: التعريف بابن خلدون

1) مولده وأسرته:

ولد عبد الرحمن بن خلدون بتونس في أول رمضان سنة 732هـ الموافق لـ 27 ماي 1332م. هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن خلدون. يعود نسبه إلى وائل بن حجر من عرب اليمن، وأصل أسرته من حضرموت (جنوب الجزيرة العربية)، و لم يذكر ابن خلدون في نسبه إلى خلدون إلا ما تقدم. قال رحمه الله: (لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة).

هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين ابن خلدون، فاسمه عبد الرحمن وكنيته أبو زيد لقبه ولي الدين، فقد سماه عبد الرحمن وكانت كنيته أبا زيد على اسم ابنه البكر، وهذا ما جرت عله عادة العرب في الكنى، أما ولي الدين فهو لقب علمي وظيفي.

اشتهرت أسرة ابن خلدون بالعلم والسياسة، فقد تقلد جدّه المناصب السياسية (السلطانية) والإدارية لشؤون الدولة ورئاسة علمية في تونس والأندلس، وعزف والده عن السياسة والحكم واشتغل بطلب العلم والدراسة. حتى صار فقيها ومفتيا للديار التونسية، وكذلك قام العلامة عبد الرحمن بن خلدون بمهام دبلوماسية في الأندلس، لما يتمتع به من شهرة في عصره، وأما في أفريقيا فكان جده (محمد ابن خلدون) يستخلف السلطان أبا يحيى إذا خرج من تونس، وهكذا جمعت هذه الأسرة بين شرفي العلم وسلطان الإمارة والحكم[1].

[1] هذه الترجمة جمعت ورتبت ونسقت فيما بين أجزائها اعتمادا على المصادر والمراجع الآتية:
- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، دط، دت، ص 379-384.
- ينظر: خير الدين الزركلي، العلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 2002، ص 330.
- ينظر: محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، دط، دت، ص 225.
- ينظر: محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، دت، ص 199.
- ينظر: محمد محفوظ، ترجمة المؤلفين التونسيين، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1983، ص 211.

2) نشأته:

نشأ العلامة عبد الرحمن ابن خلدون في أحضان تلك الأسرة العريقة في العلم والجاه، وكان والده بارا به، فحرص على تربيته تربية خاصة، فشجعه على الأخذ والتتلمذ عن مشاهير علماء بلاده، فقد حفظ القرآن الكريم منذ طفولته على عادة أبناء عصره، وأرسله إلى الشيخ "البرال" الذي أخذ عنه القرآن وعلومه[1].

قال بن خلدون رحمه الله: (وبعد أن استظهرت القرآن الكريم عن حفظي قرأته عليه بالقراءات السبع... وعرضت عليه قصيدتي الشاطبي اللامية في القراءات والرائية في الرسم)[2].

3) حياته:

ربما تكون ترجمة حياة ابن خلدون من أكثر ترجمات شخصيات التاريخ الإسلامي توثيقا بسبب المؤلف الذي وضعه ابن خلدون ليؤرخ لحياته وتجاره ودعاه التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تحدث ابن خلدون في هذا الكتاب عن الكثير من تفاصيل حياته المهنية في مجال السياسة والتأليف والرحلات، ولكنه لم يضمنها كثيرا تفاصيل حياته الشخصية والعائلية. كان المغرب العربي أيام ابن خلدون بعد سقوط دولة الموحدين تحكمه ثلاثة أسر: المغرب كان تحت سيطرة المرينيين (1196-1464)، غرب الجزائر كان تحت سيطرة آل عبد الودود (1236-1556)، تونس وشرقي الجزائر وبرقة تحت سيطرة الحفصيين (1228-1574)، التصارع بين هذه الدول الثلاث كان أشد للسيطرة ما أمكن على أراضي الشمال الإفريقي[3].

ثانيا: مسيرته العلمية

1) دراسته:

أخذ العلم عن علماء المغرب الوافدين على تونس صحبة السلطان أبي الحسن المريني (750/748هـ - 1349/1347م) كما قرأ كتاب التفسير في أحاديث الموطأ لابن عبد البر،

[1] ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1983، ص 211.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ج7، دط، دت، ص 384-403.

[3] محمد عبدالله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط،1993، ص 20.

ومختصر ابن الخطيب في الفقه، ودرس الفقه المالكي وعلوم العربية، والعلوم العقلية من رياضيات وفلك وفن وطبيعيات ومنطق وفلسفة[1].

بعد أن أخذ ابن خلدون العلم في وطنه، لم يكتف بذلك وحسب، بل لجأ إلى المزيد من العلوم خارج وطنه وقد أدى به هذا الأمر إلى رحلات عديدة. شأنه في ذلك شأن العلماء من قبله، ومن هنا بدأ ابن خلدون حياة جديدة وهي حياة الرحلة في طلب العلم.

لقد كانت أولى رحلاته إلى مدينة فاس المغربية سنة (755هـ/1354م) عندما استدعاه أبو عنان السلطان ونظمه في مجلسه العلمي ثم أصبح بعد ذلك من كتّابه، سُجن أول مرة سنة 1357م من أجل تحرير الأمير أبي عبد الله محمد الحفصي من معتقله من أجل استرجاع إمارته في بجاية، وأُفرج عنه من قبل الوزير الحسن بن عمر[2].

لما زادت المؤامرات حدّة، بعث ابن خلدون زوجته وأولاده إلى أخوالهم بقسنطينة، وتوجه إلى غرناطة بالأندلس وذلك سنة (764هـ/1362م) وجمعت أواصر المحبة والصداقة بابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب[3].

2) أعماله:

قدّم ابن خلدون عدد من المؤلفات الهامة، نذكر من هذه المؤلفات "المقدمة" الشهيرة والتي قام بإنجازها عندما كان عمره ثلاثة وأربعون عاما، وكانت هذه المقدمة من أكثر الأعمال التي أنجزها شهرة، ومن مؤلفاته الأخرى نذكر "رحلة ابن خلدون في المغرب والمشرق"[4].

وقام في هذا الكتاب بالتعرض للمراحل التي مرّ بها في حياته، حيث روى في هذا الكتاب فصولا عن حياته بجميع ما فيها من سلبيات وإيجابيا ت، و لم يضم للكتاب عن حياته الشخصية كثير.

---

[1] ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ص 211.

[2] ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص384-403.

[3] ينظر: مصطفى غالب، ابن خلدون، دار مكتبة الهلال، مصر، دط، دت، ص37.

[4] سهيلة زين العابدين، نظرية الدولة عند ابن خلدون، ج5، مجلة المنار، 1992، ص 122.

عرض بالتفصيل حياته العلمية ورحلاته بين المشرق والمغرب، فكان يقوم بتدوين مذكراته يوما بعد يوم، فقدم في هذا الكتاب ترجمته ونسبه والتاريخ الخاص بأسلافه، كما تضمنت هذه المذكرات المراسلات والقصائد التي نظمها، وتنتهي هذه المذكرات قبل وفاته بعام واحد مما يؤكد مدى حرصه على تدوين جميع التفاصيل الدقيقة الخاصة به لآخر وقت[1].

ومن أبرز مؤلفاته هي:

- تاريخ ابن خلدون واسمه: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.
- شفاء السائل لتهذيب المسائل، نشره وعلّق عليه أغناطيوس عبده اليسوعي.
- مقدمة ابن خلدون.
- التعريف بابن خلدون ورحلاته شرقا وغربا (مذكراته).

3) وظائف تولاها:

كان ابن خلدون دبلوماسيا حكيما، أُرسل في أكثر من وظيفة دبلوماسية لحل النزاعات بين زعماء الدول: فمثلا عينه السلطان محمد بن الأحمر سفيرا له إلى أمير قشتالة للتوصل لعقد صلح بينهما... وبعد ذلك بأعوام استعان به أهل دمشق لطلب الأمان من الحاكم المغولي القاسي تيمورلنك، وتم اللقاء بينهما. إذ وصف ابن خلدون ما رآه من طباع الطاغية، ووحشيته في التعامل مع المدن التي يفتحها، وقدّم تقييما متميزا لكل ما شاهد في رسالة خطها لملك المغرب وهذا ما يبين الخصال الإسلامية لشخصية ابن خلدون، وأسلوبه الحكيم في التعامل مع تيمورلنك وذكاءه وكرمه وغيرها من الصفات التي أدت في نهاية المطاف لنجاته من هذه المحنة[2].

[1] سهيلة زين العابدين، نظرية الدولة عند ابن خلدون، ص66.

[2] ينظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 4، دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص184.

ثالثا: وفاته وثناء العلماء عليه

1) وفاته:

توفي ابن خلدون في 26 رمضان سنة 808هـ الموافق لـ 17 مارس 1406م، ودفن في مقابر الصوفية عند باب النصر شمال القاهرة. وللأسف قبره غير معروف. والدار التي ولد بها كائنة بمنهج تربة الباي عدد 34 بتونس العاصمة بالمدينة العتيقة، وله قصيدة في الحنين لموطنه تونس:

أحن إلى ألفي وقد حال دونهم ** مهامه فيح دونهن سباسب

ويبقى ابن خلدون اليوم شاها على عظمة الفكر الإسلامي المتميز بالدقة والجدية العلمية والقدرة على التجديد لإثراء الفكر الإنساني[1].

2) ثناء العلماء عليه:

عند قراءتنا للكتب التراجم القديمة والحديثة، نرى أن هذه الشخصية بارزة بقوة أعجب بها علماء السير والتراجم فأثنوا عليه ثناء وافرا. فنرى منهم الواصف له بالحكمة والسداد، ومنهم من لقبه بالعبقرية والذكاء، وآخرون أعجبوا بتصنيفه الدقيق، وانبهروا بنظرياته الاجتماعية الناتجة عن التأمل والتفكير السديد.

ومن أبرز أقوال العلماء فيه قول بن الخطيب مثنيا عنه: (رجل فاضل، جم الفضائل، رفيع القدر، أصيل المجد، وقور المجلس، عالي الهمّة، قوي الجأش، متقدم في علوم وفنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، شديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط، حسن العشرة، مفخرة من مفاخر المغرب).

وقال المقريزي معجبا بمقدمته: (لم يعمل مثلها، وإنه لعزيز أن ينال المجتهد منالها، إذ هي زبدة المعارف والعلوم، ونتيجة العقول السليمة والفهوم، توقف على كنه الأشياء وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء)[2].

---

[1] شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المرجع السابق، ص184 بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 147 بتصرف.

وقد اعترف المحدثون بما قدمه ابن خلدون من مجهود علمي، يقول د. عبد الغني مغربي: (فلولا آثار ابن خلدون لبقينا نجهل ما جرى بشمال افريقيا منذ الفتح العربي حتى القرن الرابع عشر الميلادي)[1].

[1] د. عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة: محمد الشرف بن دالي حسين، ص47.

المبحث الثاني: ماهية مقدمة ابن خلدون

أولا: التعريف بالمقدمة

1) كتاب العبر

2) المقدمة: طباعتها

3)محتوى كتاب العبر

ثانيا: أسباب وضع المقدمة

ثالثا: محتوى المقدمة

أولا: التعريف بالمقدمة

1) كتاب العبر:

مقدمة بن خلدون هي فعلا مقدمة لكتاب في التاريخ صنفه وصنعه ابن خلدون تحت عنوان: "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، بدأ تأليفه في قلعة بن سلامة وأكمله في تونس ولكنه ما فتئ طيلة حياته يضبطه وينقحه.

وعرف الغرب كتاب العبر من خلال القسم الذي نشره وترجمه نويل دسفرجار عن تاريخ الأغالبة وتاريخ صقلية تحت النفوذ الإسلامي (طبع بباريس 1256هـ/1841م)[1].

كما قام دي سلان بترجمة القسم الخاص بتاريخ البربر والدول الإسلامية في أفريقيا الشمالية ونشره، كما نشر النص العربي في الجزائر في بداية النصف الثاني من القرن (19/13) أما الطبعة الكاملة لكتاب العبر فظهرت في بولاق في 7 أجزاء سنة (1868/1265) كما طبع ببيروت سنة (1956/1376) وسنة (1967/1386) في 7 مجلدات[2].

2) مقدمة ابن خلدون وطباعتها:

أول من اهتم بابن خلدون من الأجانب هم الأتراك، فقد نوّه المؤرخ العثماني بنعيما (1716/1128) به. وقدّم ملخصا لأهم أفكاره، كما ترجم شيخ الإسلام باري زاد محمد في (1749/1143) جزءا من المقدمة ثم ترجمها كاملة ذاكر قادري وطبعها في اسطنبول (1954/1374) في جزءين[3].

ويمكن أن نعزو فضل اكتشاف مقدمة ابن خلدون وتبيان قيمتها العلمية إلى الغرب فقد توجت أعمال بعض المستشرقين حولها بطبعة كاتريمير في سنة (1858/1275) كما طبعت في نفس السنة بمصر. كما ذكرنا سالفا بأن المستشرق دي سلان فد قام هو الآخر بترجمتها إلى

---

[1] ابن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، جانفي 1984، ص26-27 بتصرف.

[2] المصدر نفسه، ص 27 بتصرف.

[3] المصدر نفسه، ص 19-20 بتصرف.

الفرنسية (طبعة باريس 1863/1279) وتعددت ترجماتها منذ ذلك الوقت على يد فزروزنتال وف.منتاي إلى الفرنسية وخوري إلى البرتغالية.

وهكذا أصبحت المقدمة بفضل هذه الطبعات والترجمات متداولة بين أيدي الباحثين شرقا وغربا ووضعت حولها عدة دراسات تتفاوت من حيث القيمة، ولكنها أجمعت كلها على أهمية هذا الأثر العلمي الفريد وكانت هذه الدراسات من الكثرة ما جعل هـــ.بيريس و ج.فيشيل يقومان بوضع قائمات مضبوطة لها[1].

3) محتوى كتاب العبر:

لقد حدّد ابن خلدون بأول كلمة في عنوان كتابه الهدف الذي من أجله وضع هذا التأليف. فهو يريد أن يستجلي العبر والمواعظ من تاريخ البشرية منذ الخليقة إلى عهده. ولهذا قسمه إلى سبع مجلدات:

1 -المجلد الأول: خصصه للمقدمة وقد سبق تقديمها بشيء من التفصيل.

2 -المجلد الثاني: فيه أخبار العرب وأجيالهم وطبقاتهم الأولى والثانية. ثم تناول بالدرس فيه الدول الإسلامية إلى مقتل علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه-

3 -المجلد الثالث: درس فيه تاريخ المشرق العربي وخاصة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

4 -المجلد الرابع: تناول فيه بالبحث تاريخ عدة دول من دول الطوائف عبر عصور مختلفة سواء في الأندلس أو في الغرب أو في المشرق.

5 -المجلد الخامس: خصصه للدولة السلجوقية وتاريخ المشرق العربي بصفة عامة.

6 -المجلد السادس: نظر فيه في الطبقة الرابعة من العرب، وأرّخ للبرابرة البثر، ثم درس تاريخ بعض الدول الكبرى في المغرب.

7 -المجلد السابع: وفيه قسمان:

أ –الخبر عن زناتة وبعض دول المغرب والأندلس.

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 20 بتصرف. وعبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984، ص 10.

ب -التعريف بشخصه ورحلته شرقا وغربا[1].

ثانيا: أسباب وضع المقدمة

بعد تشبع ابن خلدون بالثقافة العربية التقليدية، وبعد أن مارس الحياة حلوها ومرها، وبعد أن عاش سلسلة من الإجهاضات السياسية ولعب دوره فيها، بدأ يفكر في كتابة التاريخ ولاشك أن ابن خلدون قد ألقى على نفسه عدة أسئلة قبل البدء في عمله، فهو رجل مغرم بالبحث عن أصول الأشياء والكشف عن الأسباب وما يترتب عليها من نتائج وشيئا فشيئا وصل عن وعي وإدراك إلى ابتكار ما أسماه بعلم مستنبط النشأة، وقد انكشف له هذا العلم فإذا به نقطة انطلاق لفروع من البحث عديدة تفتح المجال لفلسفة التاريخ وعلمي الاجتماع والاقتصاد وغيرهما فضمّن هذا العلم الجديد مقدمّته فإذا بنا أمام دائرة معف جاءت في صيغة تأليفية تبحث في العمران البشري ودواعي نسوئه وأسباب انحلاله.

ولكي نفهم كيف وصل ابن خلدون إلى هذا العلم الجديد الذي ضمنه مقدّمته المشهورة يجب أن نفهم نظريته في المعرفة، فهو من المفكرين الذين يرون أن المعرفة تكون عن طريق العقل بالنسبة للموجدات، وتكون عن طريق الوحي بالنسبة للغيبيات[2].

والموجودات في نظر ابن خلدون يمكن أن تكون ظواهر طبيعية مادية أو اجتماعية نفسية فالمجتمع عنده خاضع لناموس العلّة خضوع أحداث الطبيعة له. ولذلك أدخل ابن خلدون علم التاريخ في بوتقة العلم الطبيعي وأخضع المجتمع لنواميس العلم وقوانينه، فانكشف له العديد من أخطاء المؤرخين، فنقدهم، وعرض ما كانوا يتناقلونه من أخبار يغلب عليها طابع المبالغة والمغالاة، على العقل فرفضها، وحتى يجنّب غيره من المؤرّخين ما وقع فيه السابقون من أخطاء، وضع المقدّمة وشرح فيها تطور المجتمع الإنساني باعتباره كائنا حيّا يعيش في حركية جدلية مستمرة وحتمية فهو نشأ صغيرا فينموا إلى درجة النضج والاكتمال، ثم يأخذ في الأفول إلى أن يصل إلى الانحلال

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 27-28 بتصرف.

[2] المصدر السابق، ص 20-21 بتصرف. محمد طالبي، منهجية ابن خلدون التاريخية، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط 1981، ص 16 بتصرف.

والزوال وهو يسير في هذه التطورية الحتمية حسب مبدأ: هو ضرورة الاجتماع والتعاون البشري وقانون: هو قانون السببية، وعوامل: هي الإقليم والمناخ والتربة.

وهكذا وسع ابن خلدون من مفهوم علم التاريخ فلم يعد عبارة عن جدول من الأحداث وقوائم تضبط فيها سنوات الميلاد والتولية والوفاة بل أصبح موضوعه الحياة الإنسانية بما فيها من ظواهر اجتماعية واقتصادية وثقافية، وما يعتري هذه الحياة من أسباب الازدهار وعوامل التطور ودواعي الانحلال، وما لم يكن المؤرخ عارفا بموضوع العمران البشري والاجتماع الإنساني، فإنه لن يستطيع كتابة التاريخ بمفهوم ابن خلدون[1].

ثالثا: محتوى المقدمة

تشتمل المقدمة على تصدير هو بمثابة التوطئة لهذا العلم المستنبط النشأة، وعرّف فيه علم التاريخ ووسعه، وبيّن أخطاء من سبقه من المؤرخين ونقد منهجهم في الكتابة مقدما قواعد نقدية جديدة.

أما جوهر المقدمة فقد جعله في ستة أبواب:

-الباب الأول: في العمران البشري على الجملة (وفيه خمس مقدمات).

-الباب الثاني: في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل (وفيه 39 فصلا).

-الباب الثالث: في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية (وفيه 53 فصلا).

-الباب الرابع: في البلدان والأمصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الأحوال (وفيه 22 فصلا).

-الباب الخامس: في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع (وفيه 33 فصلا).

-الباب السادس: في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه (وفيه 60 فصلا).

وهكذا نرى أن ابن خلدون طرق في مقدمته أبحاثا متنوعة تناولت جميع الظواهر الاجتماعية فلم يترك ظاهرة إلا أتى علي تفصيلها من حيث أسباب نشأتها ومراحل تطورها ومدى خطورتها

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 21-22 بتصرف.

في العمران وشؤون المجتمع، سواء أكان ذلك في الميادين السياسية وشؤون الإدارة ومرافق الحياة وأسباب المعاش، أم في اختلاف المذاهب وتباين الأخلاق وأصناف العلوم وتنوع الفنون.

والناظر في كامل هذه الأبواب من المقدمة يلاحظ على الأقل ثلاث ملاحظات:

1- أن ابن خلدون عندما درس الظواهر الاجتماعية حاول أن يصل إلى ضبط أسباب الانهيار الحضاري ومعرفة ماهية الأمراض المؤدية إلى زوال الحضارات البشرية.

2- ابن خلدون في محاولته فهم الديناميكية التاريخية كان أحد روّاد الجدلية المادية. فالأسباب العميقة للتطور التاريخي في نظره لا يمكن أن نبحث عنها أو نجدها إلا في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية.

3- أن هذه النظرة المادية الرائدة التي سبق بها غيره من المفكرين، نجد معها في المقدمة النظرة النفسية ومع هذا التفسير المادي للظاهرة الاجتماعية والاقتصادية هناك التفسير النفسي لهما وبصفة عامة، في المقدمة هناك علم النفس السياسي وعلم النفس الاقتصادي وعلم النفس الأخلاقي، وعلم النفس العام. كل هذا في وحدة منسجمة ومرتبطة مع علم النفس الاجتماعي ومع علم الاجتماع العام[1].

[1] أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ص23-24.

الفصل الأول

لمحة عامة حول المباحث اللسانية من القديم إلى الحديث

المبحث الأول: البحث اللغوي المفهوم والنشأة

أولا: مفهوم المباحث اللغوية أو اللسانية

ثانيا: نشأة البحث اللغوي

ثالثا: موضوع البحث اللغوي

المبحث الثاني: قضايا البحث اللغوي

أولا: مفهوم اللسانيات

ثانيا: مناهج اللسانيات

ثالثا: أهداف البحث اللساني

رابعا: مراحل تطور البحث اللساني

توطئة

وقبل ولوجنا لهذا الموضوع ودراسته نرتئي تحديد وفهم أهم المصطلحات والكلمات المفتاحية المتعلقة بعنوان هذا العمل، لذا سنقوم بتسليط الضوء على أهم ما ورد في العنوان: كالتعريف اللغوي والاصطلاحي للمباحث واللسانية وكذا اللغوية مع بيان نشأة البحث اللغوي وأهم موضوعاته المدروسة.

وبعد ذلك نتطرق إلى أهم قضايا البحث اللغوي من مفاهيم عامة حول اللسانيات وكذا مناهج بالإضافة إلى أبرز أهداف البحث اللساني مع مراحل تطوره وكل هذا وذاك يمهد لنا للدراسة النظرية وبعد ذلك الجانب التطبيقي لهذا الموضوع.

المبحث الأول: البحث اللغوي المفهوم والنشأة

أولا: مفهوم المباحث اللغوية أو اللسانية

1) تعريف المباحث: أ- لغة ، ب- اصطلاحا

2) تعريف اللغوية: أ- لغة ، ب- اصطلاحا

3) تعريف اللسانية

ثانيا: نشأة البحث اللغوي

ثالثا: موضوع البحث اللغوي

أولا: مفهوم المباحث اللغوية واللسانية

1) تعريف المباحث: وهي من جذر بحث.

لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور أن:

«البحث: طلبك الشيء في التراب، بحثه يبحثه بحثا، وإبحثه. والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبره»[1].

اصطلاحا: تعددت تعريفات البحث، ولا يتفق الدارسون على تعريف محدد بسبب اختلاف أساليب البحث، وسنذكر فيما يلي بعض التعريفات:

1- «عملية منظمة تهدف إلى التوصل إلى حلول لمشكلات محددة، أو إجابة عن تساؤلات معينة باستخدام أساليب علمية محددة»[2].

2- «عملية منظمة لجمع وتحليل البيانات لغرض من الأغراض»[3].

3- «عملية تجمع لها حقائق والدراسات، وتستوفي فيها العناصر المادية والمعنوية حول موضوع معين دقيق في مجال التخصص، لفحصها وفق مناهج عملية مقررة، يكون للباحث منها موقف معين، ليتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة»[4].

4- «مجموعة من الجهود المنظمة التي يقوم بها الإنسان، مستخدما الأسلوب العلمي، وقواعد الطريقة العلمية، في سعيه لزيادة سيطرته على بيئته، واكتشاف ظواهرها، وتحديد العلاقات بين هذه الظواهر»[5].

ومن خلال هذه التعريفات الأربعة تتضح بعض نقاط الاشتراك فيما بينها:

- أن البحث جهد عظيم...

- أن البحث يستخدم الطريقة العلمية.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج2، ت: جمال الدين محمد، دار الصادر، بيروت، 1410هـ، ص 115.

[2] ملحم سامي محمد، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار المسيرة، ط3، 1426هـ، ص47.

[3] أبو علام رجاء محمود، مدخل إلى مناهج البحث التربوي، مكتبة الفلاح، ط3، 1424هـ، ص 16.

[4] أبو سليمان عبد الوهاب إبراهيم، كتابة البحث العلمي، دار الشروق، جدة، ط6، 1416هـ، ص 25.

[5] عبيدات دوقان، البحث العلمي، دار إشراقات، عمان الأردن، دط، 1424هـ، ص 53.

– أن البحث يهدف إلى حل مشكلة أو التوصل إلى معرفة.

وانطلاقا مما سبق يمكن صياغة هذا التعريف:

فالبحث إذن جهد منظم علمي لحل مشكلة أو الوصل إلى معرفة.

2) تعريف اللغوية: مأخوذة من لغة: واللغة:

– **لغة**: يذكر ابن منظور أن : اللغة مشتقة من لغا يلغو: إذا تكلم، فمعناها الكلام.[1]

– **اصطلاحا**: يقول جميل صليبا: «إن اللغة هي عبارة عن مجموع من المقاطع الصوتية المفيدة التي يستخدمها الناس داخل مجتمعهم للتعبير عن أغراض شؤون حياتهم، وتطلق اللغة أيضا على ما يجري على لسان كل قوم لأن اللسان هو بمثابة الآلة التي يتم بها النطق وعلى الكلام المصطلح عليه»[2].

ويعرفها ابن خلدون بقوله: «اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم»[3].

ويعرفها نايف معروف حيث يقول: «أصوات وألفاظ وتراكيب في نظام خاص بها دلالات ومضامين معينة ومحددة يعبر بها كل قوم عن أغراضهم البيولوجية والنفسية والاجتماعية وعن نشاطاتهم الفكرية»[4].

ويقول ابن جني في كتابه الخصائص: «حدّ اللغة: أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»[5].

وهذا التعريف الذي تناقله علماء العربية على اختلاف اختصاصاتهم، يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة، حيث ترى تلم التعريفات أن اللغة:

-أصوات منطوقة.

---

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص251.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنانـــ دط، دت، ص286.

[3] ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط2، ص 1056.

[4] نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، ط1، 1985م، ص 16.

[5] ابن جني أبو الفتح، الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 87.

-وظيفتها التعبير عن الأغراض.

-وأنها تعيش بين قوم يتفاهمون ويتعاملون بها.

-لكل قوم لغة.

3) تعريف اللسانية:

اللسانية مشتقة من (اللسان)، واللسان مأخوذ من لَسَنَ، يَلْسُنُ لسان، والجمع السنة والسن واللسان في اللغة يطلق ويراد به جملة من المعاني نجدها في المعاجم العربية[1] كما يلي:

– اللسان جارحة الكلام وعضو النطق عند اللسان من ذلك قوله تعالى: ((أَلَمْ نَجْعَل لّهُ عَيْنَيْنِ *وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ)) [البلد: 8-9]، وقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2] وقول الإمام الشافعي:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ ** فلك عورات وللناس ألسن[3]

– اللسان اللغة التي يتكلم بها الناس، والتي هي وسيلة التواصل بين البشر فيها يتفاهمون ويعبرون عن أغراضهم المختلفة، نقول لكل قوم لسان أي لغة ومنه قوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُول إِلّا بِلِسَانِ قَوْمه)) [إبراهيم: 04].

– اللسان بمعنى الكلام والحديث الذي نتلفظه، نقول فلان لسان القوم إذا كان المتكلم عنهم فاللسان هنا بمعنى الكلام نقيض السكوت وهذا المعنى ورد في الشعر الجاهلي في قول (زهير بن أبي سلمة):

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[4]

– اللسان بمعنى البلاغ.

– اللسان بمعنى الثناء على الإنسان.

---

[1] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ص385.

[2] صحيح البخاري للبخاري، ج1، المطبعة السلفية، ط1، 1980، ص 20.

[3] الإمام الشافعي، ديوان الشافعي، جمع وتحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 2004، ص 163.

[4] زهير بن أبي سلمة، ديوان زهير، شرح: حمد وطاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2005، ص 71.

– اللسان بمعنى الفصاحة والبلاغة والبيان وجود الكلام وحسن صناعته...

ومن خلال تتبعنا للتعريفات والشواهد اللغوية سالفة الذكر نجد أن هذه المادة "لسن" تدل على الفصاحة تارة وعلى الكلام تارة وعلى اللغة تارة أخرى.

ثانيا: نشأة البحث اللغوي

إن اللغة أهم عناصر المقومات الشخصية والقومية لكل شعب من شعوب العالم لذلك حظيت بالحرص والعناية البالغة، والعرب كغيرهم من الأمم والشعوب عنوا بلغتهم بدافع من حرصهم على دينهم، إضافة إلى ما تقدم، فقد قامت الدراسات اللغوية عند العرب حول القرآن بهدف صونه وصون اللغة التي نزل بها من التحريف، فإنها الوسيلة إلى فهمه واستنباط الأحكام الدينية والدنيوية منه.

وقد ظهرت هذه العناية باللغة العربية منذ القرن الأول للهجرة، فقد أباح الرسول ﷺ للعرب أن يتلو القرآن بما استطاعوا مما اعتادوه من عادات نطقية، فقال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»[1]. وذلك تيسيرا عليهم، ومنذ أن أراد عمر بن الخطاب ﷺ جمع الناس على قراءته بلغة قريش حينما خشي أن يصل الاختلاف والفرقة، ومنذ أن طلب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من أبي الأسود الدؤلي أن يضبط أواخر الكلمات في المصحف بالنقط[2] الذي طوره الخليل بن أحمد الفراهيدي فيما بعد إلى التشكيل المعروف عندنا.

ثم ظهرت تلك العناية في إسهامات بعض العلماء من خلال مؤلفاتهم التي ركزت على الجانب النحوي، دون أن يغفلوا غيره من الجوانب الأخرى كالجانب الصوتي والصرفي على نحو ما نجده في كتاب سيبويه، والكتب التي تلته، بل لم يغفلوا أيضا الجانب الدلالي فيما ألفوه من معجمات لغوية شاملة، أو تدور في فلك الموضوعات، ثم إن علم الأداء القرآني أو التجويد، أي تحسين القرآن كانت تهتم بالأصوات اهتماما بالغا وبخاصة بجانب التشكيل الصوتي الذي لم ينل من اهتمام الباحثين في أية لغة ما ناله في اللغة العربية، كما تكلفت القراءات القرآنية وبعض الإشارات

[1] السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج1، المكتبة العربية، بيروت، لبنان، ص 161.

[2] ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1951، ص 10.

المتناثرة في كتب اللغة ومعجماتها ببيان اللهجات، أو الاستخدام اللغوي على مستوى غير المستوى الأدبي على نحو لم تعهده في غير البحوث اللغوية الحديثة بل الحديثة جدا.

ثم تطور البحث اللغوي عند العرب من خلال تناول العلماء لحياة العربية وتطورها، وأسباب هذا التطور الذي يعد الإسلام في مقدمتها، على نحو ما نجده في الصاحبي لابن فارس، وغير ذلك من قضايا لغوية تناثرت في بطون أمهات الكتب اللغوية، كالخصائص لابن جني وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي والمخصص لابن سيدة، والمزهر للسيوطي وغيرها من كتب اللغة، وهي أكثر من أن تحصى.

ثالثا: موضوع البحث اللغوي

إن موضوع البحث اللغوي هو الاشتغال بجوانب اللغة تدقيقا وتقنينا وحصرا وبحثا وربطا للعلاقات من أجل تحصين اللغة وإحاطتها بما يحميها من الإندار أو الذوبان أو الاحتواء في غيرها وإبراز ما يميزها لفظا وتركيبا ودلالة وذلك بالبحث في جوانبها الأربعة والتي هي من اختصاص البحث في (علم اللغة)[1] ولم يُضمنها كتاب واحد، بل توزعت في أكثر من كتاب وتناولها بالبحث أكثر من عالم.

1) الجانب الصوتي:

تارة نجده في كتب النحاة والبلاغيين المتقدمين، وأخرى في كتب التجويد والأداء القرآني، يهتم بعضها ببيان مخارج الأصوات وصفاتها، كما يهتم بعضها بالشكل الصوتي، وبعض ثالث يضيف إلى ذلك التعبيرات الصوتية التي تحدث في الكلمة.

2) الجانب الصرفي:

ظل الصرف إلى فترة طويلة من نشأة الدراسات اللغوية يدس في كتب النحو حيث اختلطت مسائلها بعضها ببعض، وقد انفصل عنه أخيرا، واستقل بكتبه التي كانت تقتصر على مسائله،

[1] محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2009، ص 63.

وحتى بعد هذا الاستقلال فإننا نجد من النحاة من كانوا يصرّون على الجمع بين النحو والصرف في مؤلفاتهم.[1]

3) الجانب النحوي:

كان النحو من أوائل الجوانب التي حضيت بالاهتمام في مجال الدراسات اللغوية حتى كان أول نتاج في هذا الحقل يركز على هذا الجانب، نظرا لوضوح الخطأ فيه، ولما يترتب عليه من تغيير في علاقات الألفاظ بعضها ببعض في الجملة الأمر الذي يؤدي إلى اختلال المعنى المراد، والخطأ الصوتي والصرفي يؤديان إلى ذلك، لكنه لا يكون خطأ ظاهرا كالخطأ النحوي، ومن الممكن إدراك المراد معه بسهولة بخلاف الخطأ النحوي[2]، «ولا يمكن أن تقوم دراسة نحوية صحيحة دون أن يدخل في منهجها علم الأصوات، وعلم التشكيل الصوتي، وعلم الصرف»[3].

4) الجانب الدلالي:

لقد تكلفت بدراسة الجانب الدلالي كتب الثروة اللغوية، أو المعجمات الموضوعية والمعجمات العامة، يضاف إلى ذلك كتب البلاغة، وبخاصة علم البيان الذي يعني ببيان دلالة الألفاظ في ضوء الموقف والملابسات ومحاولة البحث عن العلاقة بين المعنى الأصلي والمجازي لبيان نوعها الذي يترتب عليه تحديد نوع المجاز[4].

---

[1] رمضان عبد التواب، مدخل إلى عالم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، ط3، 1997، ص 10، 11 بتصرف.

[2] محمد علي عبد الكريم الرديني، المرجع السابق، ص63.

[3] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص194.

[4] ينظر: محمد علي عبد الكريم الرديني، المرجع السابق، ص 63. ورمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 11 بتصرف.

المبحث الثاني: قضايا البحث اللغوي

أولا: مفهوم اللسانيات

ثانيا: مناهج اللسانيات

ثالثا: أهداف البحث اللساني

رابعا: مراحل تطور البحث اللساني

أولا: مفهوم اللسانيات

إن اللسانيات (Linguistique) مصطلح يرجع إلى الأصل اللاتيني (Lingua) الذي يعني اللسان أو اللغة"، وهو "علم يدرس اللسان البشري بطريقة علمية ... تستند إلى معاينة الأحداث وتسجيل وقائعها وهي قائمة على الوصف وبناء النماذج وتحليلها بالإفادة من معطيات العلوم والمعارف الإنسانية الأخرى... بهدف كشف حقائق وقوانين ومناهج الظواهر اللسانية وبيان عناصرها ووظائفها وعلاقاتها الإفرادية والتركيبية داخل وخارج بنية النص [1] وأول من استعمل مصطلح اللسانيات (Linguistique) هو جورج مونان (J.Mounin)، وذلك في سنة 1833م، أما كلمة لساني (Linguiste) فقد استعملها رينوار (Rainouard) سنة 1816م في مؤلفه "مختارات من أشعار الجوالة" [2]، وقد أثبتت الدراسات اللغوية أنّ الدرس اللغوي أول ما بدأ في القرن الرابع أو الخامس (ق.م) عند الهنود على يد بعض النحويين الهنود، ويعتبر بانيني (Panini) أشهر الباحثين في الدراسات اللغوية، الهندية حيث قام بتحليل مظاهر اللغة السنسكريتية فوضع لها قوانين وقواعد نحوية، وقد تبنّت اللسانيات الحديثة المقاييس الموضوعية التي اعتمدها بانيني والتي تعتبر منطلقات أساسية في كل دراسة لغوية، وهي كالآتي:

الشمولية: أي الدراسة الشاملة لكل الجوانب المتعلقة باللغة.

الانسجام: عدم التناقص الكلي والمستمر في دراسة الظاهرة اللغوية.

الاقتصاد: الاقتصاد في استخدام الكلمات والإيجاز في التعبير عن النتائج وذلك باستخدام أسلوب علمي واستعمال رموز الجبر وتفادي الحشو والتكرار، وقد كان لعمل بانيني أثر ملموس على لسانيات القرن العشرين، فقد جاءت دراستهم على درجة عالية من التنظيم والدّقة، وعلى هذا الأساس دارت جل الدراسات اللغوية حيث "عالجت مسائل متفرقة في علم البنية وعلم النظم

[1] عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء، الأردن، ط1، 2002، ص 107.

[2] المرجع نفسه، ص 106.

وعلم الأسلوب في جوانب رؤية تعليمية، واقتصرت البحوث على اللغتين الإغريقية واللاتينية كما أن هذه الدراسات كانت تدرس اللغة لأهداف إما فلسفية أو دينية"[1].

ثانيا: مناهج اللسانيات:

وقد اعتمد الباحثون في دراستهم للغة في تلك الفترات مناهج عدة منها:

أ- المنهج المقارن: واتضح هذا المنهج مع ظهور اللغة السنسكريتية التي كانت حافزا للدراسات المقارنة، ويقوم هذا المنهج على الدراسة النحوية والصرفية والدلالية بمقارنة تجري بين لغتين أو أكثر من فصيلة لغوية واحدة، كالفصيلة السامية مثلا، فتهتم بدراستها من حيث "الأصوات وتشكيلاتها وبناؤها ومخارجها وصفاتها ووظائفها"[2]، ومن نتائج هذا المنهج ما يأتي:

إعادة بناء وتقويم النصوص اللغوية غير الموثوق بصحتها، التي عالجت الكثير من الظواهر اللغوية، وقدمت الأعمال الأدبية في ميدان الشعر والنثر والنقد، "وتسهيل البحث في ميدان الفصائل اللغوية وروابطها التركيبية وصولا إلى لغة الأم..."[3] فقد كانت مبادئ هذا المنهج في غاية الدقة والوضوح، كونها تكشف عن جلّ أوجه الشبه والاختلاف بين حادثتين أو أكثر وترتبط بحوادث اجتماعية محددة بزمانها ومكانها وتاريخها، فيتميز بذلك موضوع البحث عن الموضوعات الأخرى، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا المنهج قديم قدم الفكر الإنساني فقد استخدمه أرسطو وأفلاطون كوسيلة في الحوار وفي المناقشة، بهدف قبول أو رفض القضايا والأفكار المعروضة للنقاش.

ب- المنهج التاريخي: ويعتمد على اللغة المكتوبة اعتقادا من أصحابه أنّ اللغة المنطوقة لا تمثل إلا شيئا مخادعا فيعتمد على "... المخطوطات والنقوش المحفوظة على الأحجار وأوراق البردي وألواح الطين"[4]؛ حيث يتتبع هذا المنهج دراسة حالات تطور البنية والتراكيب والدلالة مع الاهتمام بمدى

---

[1] أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005، ص 8.

[2] المرجع نفسه، ص 14، 15، 16 بتصرف.

[3] المرجع نفسه، ص 126.

[4] عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 127.

تأثير الإقليم الجغرافي على الظاهرة اللغوية عبر التاريخ، فيهتم بوصف وتسجيل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي، ويقوم بدراستها وتفسيرها وتحليلها على أسس علمية دقيقة، حيث تجعل الباحث يشهر بالمشكلة ويقوم بتحديدها، ويصيغ الفرضيات المناسبة ويدرسها ويحللها قصد الوصول إلى حقائق وتعميمات تساعده على فهم الحاضر على ضوء الماضي وتتمثل أهميته في أنه: يسمح بحل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي ويسمح بإعادة النظر في البيانات وتقييمها بالنسبة لفروض معينة أو نظريات في الحاضر دون الماضي.

ج– المنهج الوصفي: ويتجلى بوضوح في منتجات لسانيات القرن العشرين، وهو المنهج الذي اعتمده سوسير (F.D saussure) في دراساته، حيث دعا إلى وصف اللغة كما هي وليس كما يجب أن تكون، فاهتم في تأسيس نظريته على التمييز بين الكثير من الثنائيات أو التناقضات، ويعتمد هذا المنهج في دراسته للغة على اللغة المنطوقة، بالتركيز "على طبيعة المتكلم وشخصيته العلمية والثقافية أو على الراوي اللغوي حيث يدرس لهجة معاصرة كمصدر منهجه الوصفي"[1].

ويعبر في ذلك عما يأتي:

الفترة الزمنية: حيث يهتم بتحديد الفترة الزمنية التي وقعت فيها تلك الدراسة.

الحيز المكاني: بتحديد المساحة المكانية بهدف تحديد المدونة، كون اللغة في تطور وتغير مستمر بتغير الأزمنة والأمكنة؛ حيث يقع اهتمامه على عينة محددة يجري عليها الدراسة فيوضح حجم هذه العينة وسبب اختيارها.

المستوى: الاهتمام بالمستويات اللغوية (فصحى، وسطى، عامية) أو نوع الفن المتعامل معه (شعر، نثر، قصة...إلخ)، فيهتم بدراسة اللّغات واللهجات على حد سواء بهدف الوصول إلى استنباط قواعد كلّية تنطبق على اللّغات كلّها، فاهتم بذلك بكلّ المستويات بدءا بالأصوات؛ أي وصف الأصوات وقواعد تشكيلها للوقوف عند طبيعتها، ويهتم بجانب إصدار الأصوات أو الجانب النطقي والجانب الفيزيائي لها (الموجات الصوتية) والجانب السمعي، كما اعتنى بالنظام

[1] عبد القدر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 128. ورمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 182 بتصرف.

الصرفي؛ أي المستوى الصرفي الذي يعتمد بدوره على نتائج البحث الصرفي، فيبين مختلف البنى الافرادية، ويحدد أنواعها وأشكالها وصورها، ويهتم أيضا بالمستوى النحوي الذي يمثل الرابطة بين المفردات في تكوين جمل.

ويتميز هذا المنهج بأنه يدرس الظاهرة كما هي في الواقع فيقوم بوصفها، وتوضيح خصائصها اعتمادا على اختبار عينة ممثلة للمجتمع على أساس معيار مميز يمكننا من التعميم، وتبرز أهميته في أنه: يسمح بجمع المعلومات الحقيقية والتدقيق والتفصيل لظاهرة موجودة فعلا في مجتمع معيّن، فيضع النقاط على حروف المشكلة الموجودة، كما أنه يمكننا من معرفة ما يفعله الأفراد في مشكلة ما، ويستفيد بذلك من آرائهم وخبراتهم باتخاذ القرارات المناسبة التي يتم تعميمها في مشاكل ذات طبيعة مشابهة لها.

د- المنهج التقابلي: ويعتبر من أهم وأحدث مناهج دراسات اللّسانيات التطبيقية الحديثة و"يعتبر ميدانه تطبيقيا بحت يهدف إلى المقابلة ويعتمد على المنهج الوصفي، موظفا نتائج بحوثه في مجال علم اللسان التطبيقي"[1]، فهو منهج يركز على الجانب التطبيقي لا النظري.

ويقوم هذا المنهج بمقارنة لغتين أو أكثر، ولا يشترط فيها أن تكون من الأصل نفسه رغم أنّ معظم الباحثين يرون أنّ التقابل لا يكون إلاّ بين لغتين من فصيلة واحدة، ويقوم على رصد العناصر اللغوية ومكوناتها الصوتية والصرفية والنظمية والدلالية والعروضية والبلاغية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ سوسير تمكن من تغيير الفكرة السائدة حتى أواخر القرن التاسع عشر، التي تتمثل في أنّ وظيفة اللغة تمثيلية؛ أي إنّ اللغة تعبير عن الفكر وليس لها شكل خاص ومستقل بها؛ حيث تنتظم عناصرها بانتظام الأشياء في الكون ووفق ما يمليه العقل بدراسته اللغة في ذاتها ولذاتها، فخلّص بذلك اللغة من ذلك المفهوم الضيق، أي بعد أن كانت اللغة صورة تمثل الفكر أصبحت موضوعا قائما بذاته، وإنّ بنية الكلمة في الدراسات اللسانية لم يأت بها سوسير، لأنها كانت قائمة فيها منذ القدم، والذي يختلف فيها هو المعنى الذي تهدف إليه، فبعدما كانت تدل

[1] عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص132.

على "البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما ... امتدّ مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما"[1]، فقد برزت اللسانيات كفكرة جديدة في الفكر الإنساني الحديث، لكن هذا لا يعني أن البحث في اللغة بحث جديد، لأن البحث في اللغة وما يرتبط بها من قضايا فكرية ليس جديدا في حياة البشرية، فهو بحث قديم قدم اللغة البشرية نفسها، رغم أن لفظة اللسانيات حديثة العهد، والشيء الجديد فيه هو أن الفكر اللساني المعاصر متفتح على معارف شتى، من منطق ورياضيات وعلم النفس وعلم الاجتماع وإحصاء وإعلاميات ... وغيرها، لذلك فرضت نفسها في إطار العلوم الإنسانية كنظرية ومنهج[2].

ثالثا: أهداف البحث اللساني

للبحث اللساني أغراض متعددة يمكن حصرها فيما يلي:

1 -تسعى اللسانيات العامة إلى معرفة أسرار اللسان البشري باعتباره ظاهرة عامة ومشتركة بين جميع أفراد البشر.

2 -الكشف عن القوانين الضمنية التي تتحكم في البنية الجوهرية للغة.

3 -التوصل إلى معرفة الخصائص الصوتية والصرفية والتركيبية لكل لسان من أجل وضع قواعد كلية تشترك فيها كل اللغات.

4 -اكتشاف الخصائص العلمية التلفظية، وحصر العواقب العضوية والنفسية والاجتماعية التي تحول دون عملية التوصل اللغوي[3].

رابعا: مراحل تطور البحث اللساني

لا شك أن الحديث عن تلك المراحل التي مرّ عن طريقها البحث اللساني يجرنا مباشرة إلى التوقف عند الباحث اللساني دي سوسير الذي استطاع إلى حدّ بعيد أن يلمّ بحق إلماما شاملا وواسعا يتلكم المراحل الثلاث:

---

[1] مصطفى السعداني، المدخل اللغوي في الشعر، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، دط،دت، ص11.

[2] صالح بلعيد، الصرف والنحو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1998، ص 134.

[3] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص 15-16.

مرحلة النحو، مرحلة الفيلولوجيا، ومرحلة الفيلولوجيا المقارنة، هذه المراحل التي نجدها فعلا[1]، مجسدة في مقدمة دي سوسير والتي تعد بحق الحجرالأساس للإطار العام الذي تأسست في أحضانه اللسانيات ومن ثمة –والحال هذه- لا ضير في أن نشير إليها بشيء من التحليل والبيان وهي على النحو الآتي:

أ- مرحلة النحو (Grammaire): يرى دي سوسير أن هذه المرحلة قد بدأت بتلك الجهود المنسوبة إلى اليونان ثم الفرنسيين لاسيّما ما نجده مجسّدا جليا بوضوح في نحو بور روايال (Porte Royal) هذه الدراسة الأخيرة التي تعد بحق دراسة قائمة على مبدأ المنطق وإجراءاته التطبيقية، وما يميز هذه المرحلة (النحو) أنها ترتكز أساسا على الانجاز الفعلي للحدث الكلامي ولا تتعداه بمعنى غير قائمة على الجانب الموضوعي للظاهرة اللغوية[2].

ب- مرحلة الفيلولوجيا (La Philologie): تختلف هذه الدراسة في نظر المتخصصين في هذا الحقل الخير عن طريق الدراسة القائمة أساسا على الجانب النحوي المعياري التقعيدي، ذلك أن مرحلة الفيلولوجيا تعني فيما تعنيه تلك الدراسة القائمة على دراسة وتفسير النصوص القديمة مستحضرة في دراستها هذه اللغة ليست كغاية في ذاتها وإنما كوسيلة فقط، ومن ثمة اعتبرت هذه الدراسة دراسة قديمة لأنها كانت تعتمد على النصوص المكتوبة باللغتين: اليونانية واللاتينية. وعليه راح هذا المسار الفيلولوجي يتخذ في دراسته اللسان البشري ليس غاية في حدّ ذاته وإنما وسيلة قصد معرفة ما هو خارج عنه بل أبعد من ذلك أنه راح يعطي الاهتمام البالغ الخطاب المكتوب مقصيا من اعتباره الخطاب المعرفي المنطوق وهو ما جعله يبتعد شيئا فشيئا عن الدراسة العلمية والموضوعية للحدث اللساني اللغوي، على أساس أنه عبارة عن ظاهرة اجتماعية فكرية لا يمكن أن تنفصل بحال من الأحوال عن الواقع الذي نشأ فيه هذا الحدث اللساني[3].

---

[1] د.حنيفي بن ناصر و د.مختار لزعر، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، الجزائر، ص 41.

[2] المرجع نفسه، ص 42.

[3] المرجع نفسه، ص 42.

ج- مرحلة الفيلولوجيا المقارنة (La Philologie de comparée): يكاد يتفق جل الباحثين اللسانيين أن بداية مرحلة الفيلولوجيا المقارنة يرتبط أساسا يوم استكشف الأوروبيون تلك العلائق الموجودة بين اللغات القديمة وهي: (السنسكريتية، اليونانية، واللاتينية). ومن ثم أضحى البحث اللساني في هذه المرحلة همه الوحيد البحث عن الصفات المشتركة بين هذه اللغات الثلاث سواء ما تعلق الأمر بالجانب الصوتي، أم التركيبي، أم الدلالي على نحو ما أشار إليه فرنزبوب (F.Boop)[1].

[1] د. حنيفي بن ناصر، ومختار لزعر، المرجع السابق، ص43.

الفصل الثاني

دراسة تفصيلية لأهم المباحث اللغوية

المبحث الأول: المستوى الصوتي

أولا: ماهية علم الأصوات

ثانيا: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين

ثالثا: فروع علم الأصوات

المبحث الثاني: المستوى الصرفي

أولا: ماهية علم الصرف

ثانيا: علم الصرف بين القدامى والمحدثين

ثالثا: اختصاصات ومسائل في علم الصرف

المبحث الثالث: المستوى النحوي

أولا: ماهية علم النحو

ثانيا: الدرس النحوي بين القدامى والمحدثين

ثالثا: نشأة النحو

رابعا: أهمية النحو ودوره

المبحث الرابع: المستوى الدلالي

أولا: ماهية علم الدلالة

ثانيا: الدرس الدلالي بين القدامى والمحدثين

ثالثا: نشأة علم الدلالة

رابعا: مناهج علم الدلالة

توطئة:

شهد البحث اللغوي عدة تغيرات منذ الدراسات اللغوية الأولى إلى غاية وقتنا الحالي، أي منذ عصر الجرجاني وابن قتيبة والخليل بن أحمد إلى غاية عصر تمام حسان وإبراهيم أنس وكذا السامرائي، وكل هذه الدراسات والتغيرات الطارئة عليه كانت تسعى إلى تطور البحث اللساني العربي خاصة بعد ظهور الإسلام ومجيء القرآن فأصبح الإعجاز القرآني هو الضالة المنشودة لدى هؤلاء.

وتنقسم المباحث اللغوية إلى أربعة مستويات مهمة: الصوت، الصرف، النحو، الدلالة، وقد جرى عليها بعض التغيير في تسميتها من القديم إلى الحديث، وفيما يلي نقوم بدراسة كل مبحث على حدى دراسة نظرية.

المبحث الأول: المستوى الصوتي

أولا: ماهية علم الأصوات

ثانيا: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين

ثالثا: فروع علم الأصوات

أولا: ماهية علم الأصوات

الصوت ظاهرة طبيعية تنتج عن اهتزاز الأجسام، ويدرك بحاسبة السمع[1]. ودراسة الصوت من اختصاص علم الفيزياء أساسا، ولكن دراسته تتداخل مع علوم أخرى أهمها علم اللغة، لأن الصوت يشكل المظهر المادي الملموس للغة أي المادة الخام التي تتكون منها كلماتها وعباراتها[2].

ويهتم بدراسة الصوت اللغوي علم الأصوات. ويعرف بأنه العلم الذي يبحث في إصدار الأصوات اللغوية، وفي عملية انتقال الأصوات واستقبالها في الأذن، وفي أعضاء النطق وحركاتها عند إنتاج كل صوت[3].

ويعرّفه الجاحظ بقوله هو: آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف[4].

وكذلك يعرّفه د.مناف مهدي محمد بقوله: بأن الصوت اللغوي هو الأثر السمعي يصدر إراديا عن أعضاء النطق. وهو يتطلب أوضاعا محددة وحركات معينة لهذه الأعضاء[5].

ثانيا: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين

لقد حظي الدرس الصوتي بعناية كبيرة من قبل القدامى والمحدثين وكان من الضروري التعرف على أبرز الأعلام وما قدموه من درس صوتي ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، ابن جني من القدامى، أما المحدثين فهم تمام حسان، وإبراهيم أنيس.

---

[1] محمد عبد الله القواسمة، معالم في اللغة العربية، مركز الكتابة الأكاديمي، عمان، الأردن، ط 1، 1999، ص11. ويراجع: سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000، ص 17. وخولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، حيدرة، الجزائر، دط،2000، ص 45.

[2] محمد عبد الله القواسمة، ، معالم في اللغة العربية، ص 11. وراجع: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 43. وعبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء، الأردن، ط1، 2004، ص 301.

[3] محمد عبد الله القواسمة، ، معالم في اللغة العربية، ص 11. ويراجع: سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص17.

[4] د.مناف مهدي محمد، علم الأصوات اللغوية، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 27.

[5] المرجع نفسه، ص 27.

I) الدرس الصوتي عند القدامى

1) الدرس الصوتي عند الخليل:

أ- ترتيب الحروف عند الخليل:

لقد ميز الخليل تميزا واضحا بين الحروف والصحاح (الصامتة)، والحروف الجوف (الصائتة) إذ قال: بأن في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا ولها أحيازا ومخارج[1].وهي: ع ح هـــ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ر ل ن، ف ب م [2].

وأربعة هوائية وهي: الواو والياء والألف اللينة [والهمزة][3].

فأما الهمزة فسميت حرفا هوائيا لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، [إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن تنسب إليه إلا الجوف]. فالألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء[4].

ب- ذكر الحروف المتقاربة المخارج:

وجعل للأصوات الصامتة أحيازا ومدارج، في حين لم يفعل ذلك مع الأصوات الصائتة، لأنها حروف هوائية أي أنّ ليس لها مخرجا محددا [5].كما أنه ضم الحروف المتقاربة المخارج في أحياز، مبتدئا من الحلق إلى الشفتين إذ قال: فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرها من العين.

ولولا هته في الهاء، لأشبهت الحاء، لقرب مخرجها من الحاء، فهذه الثلاثة أحرف في حيز واحد، بعضها أرفع من بعض[6].

---

[1] ينظر: الخليل بن أحمد، العين، تح: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، دط، 1967، ص 64. وأحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996، ص61.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 65.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 64.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص 64. وأحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 62.

[5] ينظر أحمد محمد قدور، ص 62.

[6] ينظر: الخليل بن أحمد، العين، ص 64.

الخاء والغين في حيز واحد، كالهن حلقية.

القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع.

الجيم والشين والضاد في حيز واحد.

الصاد والسين والزاي في حيز واحد.

الطاء والدال والتاء في حيز واحد. الظاء والذال والثاء في حيزا واحد.

الراء واللام والنون في حيز واحد.

الفاء والباء والميم في حيز واحد.

الألف والواو والياء في حيز واحد.

والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه[1].

ج- مخارج الحروف:

ووضع الحروف مدارج (مخارج) بحسب مكان نطقها من الحلق إلى الشفتين على الشكل التالي:

«العين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية، لأن مبدأها من الحلق.

القاف والكاف لهويتان لأن مبدئهما من اللهاة.

الجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، أي مفرج الفم.

الصاد والسين والزاي أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان.

الطاء والتاء والدال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى.

الظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة.

الراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان.

الفاء والباء والميم شفوية لأن مبدأها من الشفة.

[1] ينظر: الخليل بن أحمد، المصدر السابق، ص64-65.

[الياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد]، لأنها لا يتعلق بها شيء، فتنسب كل حرف إلى مدرجته وموضوعه الذي يبدأ منه»[1].

والملاحظ أن "الخليل" كان شرحه لمخارج الحروف شرحا سطحيا لم يتعمق فيه مثلما فعل تلاميذه سيبويه وابن جني فلم يذكر مثلا حافة اللسان والخياشيم وذكر الحلق ولم يذكر وسطه أو أقصاه وغيرها من المخارج.

II) الدرس الصوتي عند المحدثين

- الدرس الصوتي عند تمام حسان

1) الصوت عند تمام حسان:

فالصوت بالمعنى العام (الذي يشمل اللغوي وغير اللغوي) فهو الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مكررة حتى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا، فما نسمعه من الآلات الموسيقية النفخية أو الوترية أصوات، وكذلك الحس الإنساني صوت[2].

بعد أن حاول تمام تحديد مفهوم للصوت وتوضيح ماهيته تعرض لأمور لا يتم فهم الصوت من دونها وهي بنظره:

- درجة الصوت، - علو الصوت، - حرس الصوت[3].

كما ميز بين فهمنا للصوت عموما والتشكيل الصوتي الذي يعني له الدراسات اللغوية وقد اعتمد هنا على تعريف كنتينو للتمييز بينهما[4].

---

[1] الخليل بن أحمد، العين، ص 65. وبراجع: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 60-65.

[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1986م، ص 62، 63.

[3] المرجع نفسه، ص 63. ويراجع: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 301.

[4] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 139.

2) تعريف الصوت اللغوي:

يقول "تمام حسان": «حين يتكلم المتكلم نلاحظ أنه يقوم بحركات خاصة بفكه الأسفل وشفتيه ولسانه ونلاحظ كذلك أن أثرا سمعيا معينا يصل إلى أذاننا فنفهم أنه مرتبط بهذه الحركات التي في فم المتكلم»[1].

3)مخارج الأصوات:

وفي هذا المجال عمل "تمام حسان" أولا على تعريف المخرج فهو: "مكان النطق"[2]، ويمكن أن نحصر المخرج والصفات التي تستخدمها اللغة العربية الفصحى بالتمييز بين أصواتها، وهذا الاستخدام للتمييز إنما يعتبر من منهج التشكيل الصوتي لا من منهج الأصوات. وهذه المخارج هي:

1 -**شفوي**: ويكون بتقريب المسافة بين الشفتين بضمهما وإقفالهما في طريق الهواء الصادر عن الرئتين وهي: الباء، الميم، الواو.

2 -**شفوي أسناني**: هو نتيجة اتصال الشفة السفلى بالأسنان العليا لتطبيق مجرى الهواء وهي: الفاء.

3 -**أسناني**: مبني على اتصال اللسان بالأسنان العليا، وهي: التاء، الذال، الظاء.

4 -**أسناني لثوي**: وهو ما اتصل طرف اللسان فيه بالأسنان العليا، ومقدمة اللسان باللثة، وهي أصول الثنايا: الزاي، الصاد، السين، الضاد، الدال، الطاء، التاء.

5 -**لثوي**: وهو ما اتصل فيه طرف اللساني باللثة أثناء النطق، وهي: اللام، النون، الراء.

6 -**غاري**: وهو الذي تحدث فيه صلة بين مقدم اللسان وبين الغار "وهو الحنك الصلب الذي يلي اللثة"، وهي: الشين، الجيم، الياء.

7 -**طبقي**: وهو ما نتج عن اتصال مؤخر اللسان باللهاة "وهو الجزء الرخو الذي في مؤخرة سقف الفم"، وهي الكاف، الغين، الخاء.

---

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 71، 72. ويراجع: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، ص119.

[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص110.

8 -**لهوي**: وهو ما اتصل فيه مؤخر اللسان باللهاة "وهي آخر جزء في مؤخر الطبق"، وهي: القاف.

9 -**حلقي**: ونقصد به المخرج الناتج من تضييق الحلق، وهي: العين، الحاء.

10 -**حنجري**: وهو نتيجة الإقفال أو التضييق في الأوتار الصوتية التي هي قاعدة الحنجرة، وهي: الهاء، الهمزة[1].

4) صفات الأصوات:

وأما صفات الأصوات فيمكن النظر إليها من زوايا متعددة:

1): الطريقة التي يتم بها النطق في مخرج ما (الشدة، والرخاوة والتعطيش والاستمرار)، يحدث ذلك في الأصوات الشداد مثل: الباء، التاء، الدال، الضاء، الطاء، القاف، الكاف، الهمزة. الأصوات الرخوة:وذلك مثل: الثاء، الحاء، الخاء، الذال، السين، الشين، الظاء، العين، الغين، الفاء. الأصوات المتوسطة: ليست شديدة ولا رخوة وهي: الواو، الياء، اللام، الراء، الميم والنون [2]. الصوت المعطش: وعني التركيب هنا أن نطق هذا الصوت يستلزم طريقتين من طرق النطق أولاهما الشدة أو الانفجار وثانيهما الرخاوة أو الاحتكاك. وهو صوت "ج".

الصوت المستمر: صوت لثوي مجعول، ينطق به بترك اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين فيرفرف اللسان ويضرب طرفه اللثة ضربات مكررة، وهذا معنى، التكرار في صفته وهو صوت "الراء"[3].

2): حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية وعدمه (الجهر والهمس).

وأما بالنسبة لحدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية تصاحب نطق الصوت أو عدم وجود هذه الذبذبة، ويمكن تقسيم الأصوات إلى قسمين:

---

[1] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 110، 111. وأحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996، ص 66، 68.

[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص113.

[3] يراجع: المرجع نفسه، ص 131، 132.

المجهور: وهو الصوت الذي تصحب نطقه ذبذبة في الأوتار الصوتية.

المهموس: وهو ما لا تصحب نطقه هذه الذبذبة[1]. فالأصوات المهموسة هي: "الفاء، التاء، السين، الصاد، التاء، الطاء، الشين الكاف، الخاء القاف، الحاء الهاء، الهمزة"، وبقية الأصوات التي لم يتم ذكرها آنفا هي أصوات مجهورة.

3): تحرك مؤخر اللسان أو مقدمه تحركا ثانويا أثناء حدوث النطق في موضع آخر (الإطباق والتغوير والتحليق).

أما بالنسبة لتحرك مؤخرة اللسان أو مقدمه تحركا ثانويا أثناء حدوث النطق في موضع آخر، ويمكن تقسيمها إلى: الإطباق، التغوير، التحليق.

فالإطباق: هو ارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به، على حين يجري النطق في مخرج غير الطبق، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه. فالإطباق حركة مصاحبة شائبة للنطق الحادث في مخرج آخر وتنتج عنه قيمة صوتية معينة تلون الصوت المنطوق برنين خاص كما في نطق أصوات الصاد، والضاد، والطاء، والخاء، والغين، والقاف، وقد عبّر النحاة والقراء الأقدمون على الإطباق باصطلاح الاستعلاء علو مؤخر اللسان في اتجاه الطبق[2].

ويقابل الإطباق التغوير: وهو شوب الصوب ذي المخرج الذي خلف الغار إلى أن ينطق في الغار، أو أقرب ما يكون إليه. وصوت الكاف المجاور لأحد أصوات الكسرة مغور. فأنت ترى أن مخارج الأصوات وصفاتها أساس ينبني عليه التفريق بينها من حيث مكان كل منها في المنضمة التي تسمى الأبجدية[3].

والتحليق: هو قرب مؤخر اللسان من الجدار الخلفي للحلق، نتيجة لتراجع اللسان بصفة عامة[4].

---

[1] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص114.

[2] يراجع: المرجع نفسه، ص 115. وأحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 84.

[3] تمام حسان، المرجع نفسه، ص 84.

[4] المرجع نفسه، ص 84.

وقد تعددت الدراسات الصوتية الحديثة من قبل العديد من الباحثين في هذا المجال منهم: أحمد حساني، إبراهيم أنيس ... وغيرهم.

ثالثا: فروع علم الأصوات

يتضح مما سبق أنه قد برزت في الحقل اللغوي ثلاثة فروع رئيسية لعلم الأصوات وهذه الفروع تختلف فيما بينها من حيث نشأتها وتطورها، كذلك من حيث وسائل الدراسة فيها وهي:

1 -علم الأصوات النطقي او الفسيولوجي.

2 -علم الأصوات الفيزيائي.

3 -علم الأصوات السمعي.

وسنتعرف فيما يأتي على علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الفيزيائي، وكذا علم الأصوات السمعي، كذلك نتطرق إلى دراسة علم يعتبر من أبرز العلوم التي تقوم بخدمة علمي الأصوات النطقي والفيزيائي وهو علم الأصوات التجريبي[1].

1) علم الأصوات النطقي:

يعد هذا الفرع من أقدم فروع علم الأصوات، وأكثرها انتشارا حيث بدأت الدراسات فيه منذ وقت مبكر، وكانت الدراسة الصوتية القديمة محصورة أو شبه محصورة في هذا النوع من الدراسة.

ويتميز هذا الفرع من بقية الفروع الأخرى بأنه يمكن الاعتماد فيه على الملاحظة الذاتية، وعلى تذوق الأصوات بعكس الفروع الأخرى التي تحتاج إلى أجهزة خاصة للكشف عن حقائقها.

كما أن علم الأصوات النطقي بقي أجيالا متعاقبة معتمدا على نفسه إلى ان استمد علماء الأصوات المعونة من العلوم الأخرى[2].

---

[1] د. مهدي مناف محمد، علم الأصوات اللغوي، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ص 16، 17 بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 17، 18 بتصرف.

2) علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي):

وظيفة هذا الفرع دراسة التركيب الطبيعي للأصوات، تقوم هذه الدراسة بتحليل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء، وهي التي تنتج من حركات أعضاء الجهاز النطقي حتى تصل ذبذبات الهواء إلى أذن السامع، ويعني هذا أن الدراسة فيه اقتصر ميدانها على المنطقة الواقعة بين فم الناطق وأذن السامع.

كما كانت هناك العديد من الدراسات العربية في هذا الفرع الصوتي منهم إخوان الصفا وابن سينا والجاحظ وابن سنان الخفاجي... وفي مقابل ذلك كانت دراسات حديثة جمة كذلك منهم ويليس سنة (1829م)[1].

3) علم الأصوات السمعي:

أصبح محصورا في دائرة ضيقة، هي دائرة المتخصصين تخصصا دقيقا في فيسيولوجيا الجهاز السمعي، وعلم النفس الإدراكي، فهو يتمثل في مدى تأثر طبلة أذن السامع بالأصوات.

ويراجع السبب في عدم اهتمام دارسي اللغة بهذا الفرع إلى وجود صعوبات كثيرة، ومثل هذه الصعوبات تمنع الوصول إلى النتائج العلمية الدقيقة، ومن هذه الصعوبات:

1 -انتشار الموجات الصوتية على طبلة الأذن.

2 -لا يمكن التحكم في عملية السماع كما هو الحال في عملية النطق.

3 -لا يمكن رؤية ما يجري في عملية السماع بالعين المجردة.

لهذه الأسباب وغيرها أعرض أغلب اللغويين عن دراسة علم الأصوات السمعي، واكتفوا بالإشارة العامة إلى حدوده[2].

وكما ذكرنا سابقا أن علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات الفيزيائي يكمل كل منهما الآخر، كما أنهما يعتمدان اعتمادا كبيرا على فرع آخر متمم لهما وهو علم الأصوات التجريبي.

---

[1] د. مهدي مناف محمد، المرجع السابق، ص 18، 19 بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 16، 17 بتصرف.

4) علم الأصوات التجريبي: ويسمى كذلك علم الأصوات المعملي، أو علم الأصوات الآلي، وتتضح وظيفة هذا الفرع من عنوانه الذي يعني إجراء التجارب المختلفة بوساطة الوسائل والأدوات الفنية في مكان معدّ لها يسمى (معمل الأصوات) وهذه الوسائل والأدوات منها ما يخدم علم الأصوات النطقي ومنها ما يخدم علم الأصوات الفيزيائي.

والاهتمام بعلم الأصوات التجريبي يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر أو قبل ذلك بقليل حين كان يجري بصورة فردية لإشباع نزعة حب الاستطلاع، حيث كان يقوم بعض الهواة بتجارب فردية[1].

[1] د. مهدي مناف محمد، المرجع السابق، ص 19 بتصرف.

المبحث الثاني: المستوى الصرفي

أولا: ماهية علم الصرف

ثانيا: الدرس الصرفي بين القدامى والمحدثين

ثالثا: اختصاصات ومسائل في علم الصرف

أولا: ماهية علم الصرف

«يعني الصرف بالصيغ اللغوية وما يعتورها من تغيرات، إنه يهتم ببنية الكلمة أي بصورتها أو هيئتها الملحوظة، وما يلحقها من تغير مثل: تغير المفرد إلى المثنى والجمع، أو تغير الاسم بتغيره أو النسبة إليه، أو ما يجري لحروف الكلمة من زيادة أو حذف أو إبدال وغير ذلك»[1].

ويعرف كذلك: «هو علم بأصول تعرف بها صيغ الكلمات العربية وأحوالها، التي ليست بإعراب ولا بناء، فهو يدرس الكلمة المفردة، وما يطرأ عليها من تغيرات على صورتها الملحوظة من حيث حركتها وسكونها وعدد حروفها وترتيب هذه الحروف[2]».

ثانيا: الدرس الصرفي بين القدامى والمحدثين

وبما أن علم الصرف، جزء مهما من الدرس اللساني لذلك حظي بعناية كبيرة من قبل القدامى والمحدثين، ونذكر من هؤلاء القدامى الذين عنوا بالدرس الصرفي: سيبويه، ابن جني، المبرد والمحدثين، أحمد محمد قدور، تمام حسان، وسيأتي الحديث عنه.

I) الدرس الصرفي عند القدامى:

* الدرس الصرفي عند سيبويه:

1) المقصور والممدود عند سيبويه:

فالمنقوص: كل حرف من بنات الياء والواو وقعا ياؤه أو واوه بعد حرف مفتوح، وإنما نقصانه أن تبدل الألف مكان الياء والواو فلا يدخلها نصب ولا رفع ولا جر. وأشياء يُعلم أنها منقوصة لأن نظائرها من غير المعتل إنما تقع أواخرهن بعد حرف مفتوح، وذلك نحو: "معطى"، و"مشتري"، وأشباه ذلك. ومما تعلم أنه منقوص كل شيء كان مصدرا لـــ "فَعِلَ، ويَفْعَلُ"، وكان الاسم على الفعل "أَفْعَلَ" لأن ذلك في غير بنات الياء والواو وإنما يجيء على مثال: "فَعَلَ" وذلك قولك للأحول: "به حَوَلٌ"، وللأعور "به عَوَرٌ". ومما تعلم أنه منقوص أن ترى الفعل "فَعِلَ،

---

[1] محمد عبد الله القواسمة، معالم اللغة العربية، ص27. ويراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص204.

[2] نايف سليمان، حسن قراقيش، عادل جابر، محمد الحموز، عبد المؤمن أو العسل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1420هـــ-2000م، ص 10.

يُفْعَلُ"، والاسم منه "فَعِلٌ"، فإذا كان الشيء كذلك عرفت أن مصدره منقوص لأنه "فَعَلٌ"... وذلك قولك: "فَرقَ، يَفْرِقُ"، "وهو فِرِقٌ"، وهو كثير. وإذا كان "فَعِلَ، يُفْعَلُ"، والاسم "فعلان" فهو أيضا منقوص، وذلك قولك للعطشان: "عَطَش، يعطِشُ، عَطَشًا" على وزن "فَعَلاً" وهو "عطشان" وعلم جزا[1].

وأما **الممدود**: فكل شيء وقعت ياؤه أو واوه بعد ألف. فأشياء يعلم أنها ممدود، وذلك نحو: "اِسْتِسْقَاء" لأن "اِتْتَسْقَيْتُ": "اِسْتَفْعَلْتَ". مثل اِسْتخرجت. فإذا أردت المصدر علمت أنه لابد من أن تقع ياؤه بعد ألف كما أنه لابد للجيم أن تجيء في المصدر بعد الألف، فأنت تستدل على الممدود كما تستدل على المنقوص بنظيره من غير المعتل حيث علمت أنه لابد لآخره أن يقع بعد مفتوح، كما أنه لابد لآخره نظير، من أن يقع بعد مفتوح. ومثل ذلك "الإشتراء" لأن "اشترت": "اِفْتَعَلْتُ" بمنزلة "إحتقرت"، فلابد من أن تقع الياء بعد ألف، كما أن الراء لابد لها من أن تقع بعد ألف إذا أردت المصدر.

وكذلك "الإعطاء" لأن "أعطيتُ": "أَفْعَلْتُ"، كما أنك إذا أردت المصدر من "أُخْرَجْتُ" لم يكن بدّا من أن تجيء بعد ألف إذا أردت لمصدر والمصدر "إخراج" فعل هذا النحو قس[2].

ومما نعلم به أنه ممدود أن تجد المصدر مضموم الأول يكون للصوت، نحو "العواء" و"الدعاء". وكذلك نظيره من غير المعتل نحو: "الصراخ"، "الدعاء". وكذلك نظيره من غير المعتل نحو "الصراخ"، "النباح". وقلما يكون ما ضُم أوّله من المصدر منقوصا؛ لأن "فُعَلاً" لا تكاد تراه مصدرا من غير بنات الياء والواو. ومن الكلام ما لا يقال له: مُدّ لكذا، وكما أنك لا تقول: "جَرَابُ"، وغُرَاب"، وإنما تعرفه بالسمع فإذا سمعت علمت أنها ياء أو واو وقعت بعد ألف، نحو: "السَّماء" و "البِّرشاء والآلاء".

---

[1] سيبويه، الكتاب، تح: اميل بديع بعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1999، ص 20/4. والأشموني، شرح الأشموني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، دت، ص 654، 656.

[2] يراجع: سيبويه، الكتاب، المرجع السابق، ص 22/4. والسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البخاري، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط5، دت، ص 255/2.

ومما يعرف به الممدود الجمع الذي يكون على مثال "أَفْعِلةً"، فواحده ممدود أبدًا نحو: "أقبية" وحدها "قباء"، وقالوا "ندى" و "أندية" وهذا شاذ.

وكل جماعة واحدها "فِعْلَةً أو فُعْلَةً" فهي مقصورة نحو: "عُرْوة" و "عُرًى" و "فريْة" و"فرًى"[1].

2) التصريف والفعل:

أما ما كان على ثلاثة أحرف من غير الأفعال، فإنه يكون "فَعْلاً" ويكون في الأسماء والصفات.

فالأسماء مثل: "صقر"، "فهد"، "كلب" والصفة، نحو: "صعب"، "ضخم"، "خذل".

ويكون فِعْلاً في: الأسماء والصفة، فالأسماء نحو "العكم"، والصفات نحو "نقض".

ويكون "فُعْلاً في: الأسماء والصفة، فالأسماء نحو: "البُرْدُ" وأما الصفات فنحو: "العُبْرُ"، يقال: "ناقة عُبْر الأسفار".

ويكون فَعَلاً في: الاسم والصفة، فالاسم نحو "جَبَل"، والصفة نحو: "حَدَثٍ".

ويكون فَعِلاً فيهما، فالأسماء نحو "كتف" والصفات نحو "حَذِر".

ويكون فَعُلاً فيهما، فالأسماء نحو "صُرُد" والصفات نحو "حُطَمٍ".

ويكون فُعُلاً فيهما، فالاسم نحو: "العُنُق"، والصفة نحو: "الجُنُبُ".

ويكون فِعَلاً فيهما، فالاسم نحو "الضِلَعُ" ولا نعلمه جاء صفة إلا في حرف من المعتل يوصف به "الجماعُ" وذلك قولهم "قوم عِدًى" ولم يكسر على عدّى واحدٌ، ولكنه بمنزلة "السَّفْر والتركبُ".

ويكون فِعِلاً في الاسم نحو: "إبل" وهو قليل، لا تعلم في الأسماء والصفات غيره. واعلم أنه ليس في الأسماء والصفات "فُعِل" ولا يكون إلا في الفعل[2].

---

[1] يراجع: سيبويه، الكتاب، ص 23/4.

[2] يراجع سيبويه، الكتاب، ص 364/4-366. والأشموني، شرح الأشموني، ص 783/3

3) التضعيف:

إن التضعيف يثقل على الألسنة، واختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد. ألا ترى أنه من يجيء بشيء من الثلاثة على مثال الخمسة نحو: "ضريّب" وليجيء "فَعَلّلٌ" ولا "فعلّل" إلا قليل ولا يبنوهن على "فُعَالَلِ" كراهية التضعيف وذلك أنهم يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعود له، فلما صار تعبا عليهم أن يدركوا في موضع واحد ولا تكون مهملة، كرهوه أما ما كانت عينه ولامه من موضع واحد، فإذا تحركت اللام منه وهو فعلٌ ألزموه الإدغام وأسكنوا العين فهذا "مُتلئبّ".

وأن كل شيء من الأسماء جاوز ثلاثة أحرف، فإنه يجري مجرى الفعل الذي يكون على أربعة أحرف إن كان يكون ذلك اللفظ "فِعْلاً" أو كان على مثال الفعل ولا يكون فعلا، أو كان على غير واحد من هذين، لأن فيه من الاستثقال مثلما في الفعل، فإن كان الذي قبل ما سكن ساكنا، وألقيت عليه حركة المسكن. وذلك قولك: "مستردّ" و "مستعدّ" وإنما الأصل "مستعدد" و"مستردد" وإن كان الذي قبل المسكن متحركا حرّكته على حركته. وذلك قولك: "مرتدُ" وأصله "مرتدد" وإن كانت قبل المسكنة ألف، لم تتغير الألف نحو: "رادّو" و "مادّوا" فصارت بمترلة المتحرك.

وأما ما يكون "أفعل" فنحو "ألدّ" "أشدّ" وإنما الأصل "ألدد"، "أشدد" وأجرت هذه الأسماء مجرى الأفعال في تحريك الساكن وإلزام الإدغام وترك المتحرك قبل المدغم.

فأما ما جاء على ثلاثة أحرف لا زيادة فيه، فإنه كان يكون فِعَلاً فهو بمترلته وهو فَعْلٌ وذلك قولك في: فعِل "صَبٌ" ومثله رجل "طبٌ" وطيب، كما تقول: قِرَحٌ و قَرِيحٌ، ويدلك على أن فَعِلاً مدغم أنك لم تجد في الكلام مثل: "طيب" على أصله[1].

وأما ما كان على ثلاثة أحرف وليس يكون فِعَلاً فمن ذلك قولك: :فعِل" دِرَرٌ و "قِدَدٌ" وفي فُعَلٍ "سُرَرٌ" وخُزَزٌ" وقد قالوا: عميمة و "عمٌ" فألزموها التخفيف من ذلك ثنّى فخفف.[2]

---

[1] يراجع: سيبويه، الكتاب، ص 4/558-559. والسيوطي، المزهر، ص 52.

[2] يراجع: سيبويه، المرجع نفسه، ص 4/560.

II) الدرس الصرفي عند المحدثين:

* الدرس الصرفي عند تمام حسان:

1) المرفيم عند تمام حسان:

في ما سبق تحدث "تمام" عن العناصر الصغرى التي يتكون منها الكلام تحت عنوان الأصوات، وسيتناول بالتحليل عناصر أخرى أكبر من هذه، تحت عنوان الصرف، أو البنية أو ما يطلق عليه الأوربيون "مورفولوجي"، ومن طبيعة هذه الدراسة تناول الناحية الشكلية التركيبية للصيغ والموازين الصرفية، وعلاقتها التصريفية من ناحية، والاشتقاقية من ناحية أخرى.

في حين يدور على الألسنة اصطلاح هام في الدراسة الصرفية هو الوحدة الصرفية أو المرفيم، ولعل ممن وضحوا المعنى التقليدي لهذا الاصطلاح "فندريس" الذي اعتبر المورفيمات عناصر صرفية تربط بين الأفكار التي يتكون منها المعنى العام للجملة، وهذه الأفكار واضحة في السيمانتيمات أو نواة المعنى المعجمي[1].

2) الصيغة:

يقول: "تمام": «والصيغة بالنسبة إلى المرفيم علامة [*]، وبالنسبة إلى أمثلتها المختلفة ميزان صرفي، فلها هذان النوعان من التسمية، وهي بالاعتبار الثاني ملخص شكلي لطائفة من الكلمات، نقف منها موقف العنوان من التفضيل الذي تحته. ثم إنها باعتبارها علامة لابد لها أن تدل على معنى خاص هو المعنى المورفيم، غير أنه هناك فرقا بين معنى العلامة الصرفية التي هي الصيغة وبين معنى الكلمة التي هي المثال، فالمعنى الأول وظيفي، والثاني معجمي»[2].

وخذ مثالا صيغة "فاعل" تجد لها معنى وظيفيا خاصا هو المورفيم ويسميه الصرفيون المشاركة. أضف إلى ذلك أن هذه الصيغة لابد لها أن تكون صيغة فعلية، وهذا جزء آخر من معناه الوظيفي. فأنت ترى أننا لم نتعرض للمعنى المعجمي العرفي الذي في "قاتل" و "جَادَلَ"... وما إلى

---

[1] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص204.

[*] هي العنصر الذي يعبر عن المورفيم تعبيرا شكليا، وتوجد في النطق. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص206.

[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص207.

ذلك من أمثلتها التي توجد معانيها المعجمية مفصلة في القاموس فالمعنى الوظيفي نحوي صرفي، والمعنى المعجمي عرفي اجتماعي إلى حد ما[1].

ويقول: «ولكن الصيغة الصرفية قد لا تكون بفردها كافية للدلالة على المورفيم، لوجود الغموض فيها، فهي إذا في حاجة إلى المثال ليوضح ما فيها من غموض.

خذ مثلا صيغة "فَعْلَ" تجدها مشتركة بين الصفة المشبهة وبين المصدر ونجد من أمثلتها "شَهْم" و "ضَرْب" فإذا وقع الغموض في الصيغة هنا فلن يقع في الأمثلة لأنها إما أن تكفي يفردها لشرح معنى الصيغة، كالمثالين المذكورين، وإما أن لا اكفي كما في "عَدْل" التي تصلح لمعنى الصفة كما تصلح لمعنى المصدر[2].

ويقول أيضا: «الصيغة باعتبارها علامة على المورفيم لا يدخلها الإعلال، أما باعتبارها ميزانا صرفيا فهو يدخلها»[3].

وتدخل الصيغة في الجدول كما تدخل في الأمثلة، فنستطيع أن نصرّف الصيغة من غير الاستعانة بأمثلتها[4].

والمثال على ذلك: أنا افتعلت – إفْتَعَلَ

نحن افتعلنا – نفتعل

أنت افتعلت – تفتعل – افتعل

إذن فالصيغة جزء من المنهج لا من اللغة نفسها، واللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية لأن هذه الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق[5].

---

[1] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص208.

[2] المرجع نفسه، ص 208.

[3] المرجع نفسه، ص 209.

[4] المرجع نفسه، ص 209.

[5] يراجع: المرجع نفسه، ص 210.

3) الاشتقاق:

لاحظ علماء اللغة أن ارتباطا معينا يوجد بين الكلمات من جهة اللفظ والمعنى، فقالوا: بوجود ارتباط وضعي بين الكلمات. ولقد شدّ انتباههم من هذا ما يأتي:

1 -أن الكلمات العربية ذات أصول ثلاثة، يعبر عنها في الميزان الصرفي بفاء الكلمة وعينها ولامها، وأنها تأتي مرتبة بهذا الترتيب.

2 -أن الكلمات العربية تأتي على هيئات صرفية معينة تسمى الصيغ وإن خلاف بين الكلمات من الناحية التركيبية هو في الواقع اختلاف بين هذه الصيغ والارتباط الذي قال به النحويون الصرفيون بين الكلمات المتحدة في الأصل المختلفة الصيغة، ارتباط لفظي وارتباط معنوي، أما الأول فلأن حروف الأصل توجد في الصيغتين المرتبطتين بنفس الترتيب وأما المعنوي فلأن الملاحظ أن الكلمتين اللتين توصفان هذا الوصف يُعبران عن المعنى العام واحد تختلفان في دائرته، كما تختلف صيغة لاكما تختلف المادتان المعجميتان، فلابد إذن أن تردا هاتين الكلمتين إلى مادة واحدة[1].

من خلال ما سبق يلاحظ أن الاختلاف اللفظي صرفي، وأن الاختلاف المعنوي معجمي. لذا يمكن القول بأن الاشتقاق: «رد لفظ إلى آخر لموافقته إياه في حروفه الأصلية، ومناسبته له في المعنى»[2].

وقد اختلف قديما في أصل الاشتقاق بين مدرستي الكوفة والبصرة، فالبصريين يرون أن أصل الاشتقاق هو المصدر والكوفيون يرون أن أصله هو الفعل، ولكن "تمام" يرى: في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة أن مسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات، واشتراكها في شيء معين[3].

---

[1] يراجع: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 211-212.

[2] يراجع: المرجع نفسه، ص 212.

[3] يراجع: المرجع نفسه، ص 213-215.

ثالثا: اختصاصات ومسائل في علم الصرف

والصرف لا يختص أو لا يتعلق بالأفعال المتصرفة أو الأسماء المتمكنة (أي المعربة)، وأما الحروف وشبهها من الأسماء المبنية، والأفعال الجامدة نحو (عسى وليس...) فالا اختصاص أو تعلق لعلم الصرف بها، بمعنى أنها لا تشتق، ولا تمثل من الفعل، أي لا توزن. والحروف لا يصح فيها التصريف ولا الاشتقاق لأنها مجهولة الأصول[1].

ومسائل علم الصرف هي قضاياه أو قوانينه نحو: كل واو أو ياء إذا تحركت وانفتح قبلها تقلب الفاء، مثل: قال وباع، أصلها قَوَلَ، وبَيَعَ، فتحركت الواو والياء وفتح ما قبلها فقلبتا ألفا، وبذلك صارت الأولى قال والثانية باع. ونحو إذا تطرقت الواو أو الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة، نحو: لقاء ودعاء، وأصلهما: لقاي ودعاو، ولتطرق كل من الواو والياء بعد ألف زائدة قلبت الواو والياء همزة فصارتا لقاء ودعاء[2].

[1] عبد العزيز عتيق، مدخل إلى علم النحو والصرف، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص8.
[2] المرجع نفسه، ص 10.

المبحث الثالث: المستوى النحوي

أولا: ماهية علم النحو

ثانيا: الدرس النحوي بين القدامى والمحدثين

ثالثا: نشأة النحو

رابعا: أهمية النحو ودوره

أولا: ماهية علم النحو

يعد النحو لبّ الدراسات اللغوية وسنام أنظمتها بل هو الرابط القوي بين الأصوات والدلالات[1]، أطلق عليه اسم النظم لأنه يدرس نظام الجملة وطرق صياغتها.

فالجملة تتألف من مجموعة متناسقة من الكلمات تترابط أجزاؤها بواسطة مميزات عديدة: الجنس، العدد، الشخص، الإعراب، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير وحذف وإضمار وإظهار والنفي والتوكيد، والعرض والتخصيص والتمني والترجي والنهي. ومن حيث كونها بنية مركبة ومعقدة[2].

فالنحو أو الإعراب: (علم بأصول تعرف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء أي، ما يعرض لها في حال تركيبها)[3].

ثانيا: الدرس النحوي بين القدامى والمحدثين

I) الدرس النحوي عند القدامى:

- الدرس النحوي عند سيبويه:

1) مجرى نعت المعرفة عليها:

المعرفة عند "سيبويه" خمسة أشياء هي: الأسماء التي هي الأعلام خاصة، والمضاف إلى معرفة إذا لم ترد معنى التنوين، والألف واللام، والأسماء المبهمة والإضمار. فأما العلامة اللازمة المختصة، فنحو: "زيد وعمر" وما أشبه، وأما المضاف إلى معرفة، فنحو: "هذا أخوك، مررت بأبيك" وإنما صار معرفة بالكاف التي أضيف إليها لأن الكاف يراد به الشيء بعينه دون سائر أمته.

وأما الألف واللام فنحو: "البعير، الرجل، الفرس" وما أشبه ذلك وإنما صار معرفة لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته لأنه إذا قلت "مررت برجل" فإنك إنما زعمت

---

[1] أنظر: حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2003، ص 108.

[2] انظر: ريمون الطحان، الألسنة العربية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط2، 1911، ص 24-25.

[3] نايف معروف، عادل جابر، خالد فلاح، الجامع في اللغة العربية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 4، 1996م-1416هـ، ص 18.

أنك مررت بواحد لمن يقع عليه هذا الاسم، ولا ترد رجلا بعينه يعرفه المخاطب. وإذا أدخلت الألف واللام فإنها تذكره رجلا قد عرفه، فتقول الرجل الذي من أمره كذا وكذا، ليتوهم الذي كان عهده بما تذكره من أمره.

وأما الأسماء المبهمة نحو أسماء الإشارة، وأشبه ذلك، والإضمار في الضمائر المتصلة والمنفصلة، وكذلك الإضمار الذي ليست له علامة ظاهرة، وإنما صار الإضمار معرفة، لأنك تضمر اسما بعدما تعلم أن من تحدث قد عرف من تعني أو ما تعني، وأنت تريد شيئا بعينه. كما أن المعرفة لا توصف إلا بمعرفه، كما أن النكرة لا توصف إلا بنكرة[1].

2) ما لا يكون الاسم فيه إلا نكرة:

وذلك قولك: "هذا لأول فارس مكبل، وهذا كل متاع عندك موضوع، وهذا خير منك مقبل" ومما يدلك على أنهن نكرة أنهن مضافات إلى نكرة، فتوصف بهن. وذلك تقول في وصف: "هذا رجل خير منك، هذا فارس أو فارس"، يستدل على أنهن مضافات إلى نكرة أنك تصف ما بعدهن بما توصف به النكرة ولا تصفه بما توصف به المعرفة وذلك قولك: "هذا أول فارس شجاع مقبل"، ويدلك على أنه نكرة أنك تصف به النكرة، فتقول: "هذا رجل حسبك من رجل"، فهو بمنزلة مثلك وضاربك، إذا أردت النكرة.

ومن قال: "هذا أول فارس مقبلا"، من قبل أنه لا يستطيع أن يقول: "هذا أول فارس"، فيدخل عليه "الـــ" التعريف، فصارت عنده بمنزلة المعرفة، فلا ينبغي له أن يصفه بالنكرة، وينبغي له أن يرغم أن درهما في قولك: عشرون درهما معرفة فليس هذا بشيء، وإنما أرادوا من الفرسان، فحذفوا الكلام استخفافا، فقد يجوز نصب على نصب، "هذا رجل منطلقا".

وأن ما كان صفة للمعرفة لا يكون حالا ينتصب انتصاب النكرة وذلك أن تقول: "هذا زيد طويل"، ولا هذا زيد أخاك من قبل أنه من قال هذا فينبغي له أن يجعله صفة للنكرة، فيقول: "هذا رجل أخوك".

[1] يراجع: سيبويه، الكتاب، ص 2، 3، 4.

ولا يجوز للمعرفة أن تكون حالا كما تكون للنكرة، فيلبس بالنكرة ولو جاز لقلت: "أخوك عبد الله".

النكرة تكون حالا ولا تكون شيء بعينه قد عرفه المخاطب قبل ذلك[1].

3) الابتداء:

المبتدأ هو: كل اسم ابتدئ ليبنى عليه الكلام، وهو المبني عليه رفع، فالابتداء لا يكون إلا مبني عليه، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسندا ومسند إليه.

فأما الذي يبنى عليه شيء هو هو فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولك: "عبد الله منطلق"، ارتفع عبد الله لأنه ذكر ليبنى عليه المنطلق، وارتفع المنطلق لأن المبني على المبتدأ بمنزلة زعم "الخليل" إنه يستقبح أن يقول: "قائم زيد"، وذلك إذا لم تجعل "قائما" مقدما مبنيا على المبتدأ، كما تؤخر وتقدم فتقول: "ضرب زيدا عمرو" و "عمرو" على ضرب مرتفع. وكان الحد أن يكون مقدما ويكون "زيد" مؤخرا.

فإذا لم يريدوا هذا المعنى وأرادوا أن تجعلوه فعلا كقولك: "يقوم زيد" و "قام زيد"، قبح، لأنه اسم، وإنما حسن عندهم أن يجري مجرى الفعل إذا كان صفة جرى على موصوف أو جرى على اسم قد عمل فيه، كما أنه لا يكون مفعولا في ضارب حتى يكون محمولا على غيره، فتقول: "هذا ضارب زيدا"و "أنا ضارب زيدا" ولا يكون "ضارب زيدا"، على "ضربت زيدا" و "ضربت عمر".

فكما لم يجز هذا كذلك، استقبحوا أن يجري مجرى الفعل المبتدأ، وليكون بين الفعل والاسم فصل، وإن كان موافقا له في مواضع كثيرة، فقد يوافق الشيء الشيء ثم يخالفه، لأنه ليس مثله[2].

[1] يراجع: سيبويه، الكتاب، ص 107-111.

[2] المصدر نفسه، ص 125-126.

II) الدرس النحوي عند المحدثين

– الدرس النحوي عند إبراهيم السامرائي

1) الفعل وأقسامه عند إبراهيم السمرائي:

الفعل ركن مهم في بناء الجملة العربية، والجملة العربية اسمية أو فعلية ذات طرفين هما: المسند والمسند إليه. و لم يبحث النحويون الأقدمون في الجملة من حيث قضية اسنادية وإن الفعل طرف في الإسناد إلا قليلا. ولقد اهتم النحاة القدامى بمسألة الفعل في مباحثهم النحوية كما اهتم في الموضوع نفسه المحدثون في دراستهم الحديثة وقد كان اهتمام الأقدمين بهذه المادة غيره عند المعاصرين. كان الأقدمون يرون أن الفعل صاحب العمل وهو عامل قوي بل هو أقوى العوامل فهو يرفع فاعلا وينصب مفعولا كما ينصب سار ما أسموه بـــ "الفضلات" كالمفاعيل والحال ونحو ذلك، إنه يعمل أينما كان متقدما أم متأخرا ظاهرا أم مقدرا[1].

أما أصحاب النظر اللغوي فصحيح من المحدثين فينكرون هذه المعرفة القديمة وهم يرون أن الفعل مادة لغوية مهمة في بناء الجملة وهو لا يعدوا أن يكون حدثا يجري على أزمنة مختلفة تختلف في المضي كما تختلف في الحال والاستقبال كما يعرب عن اتفاق وتركيب هذه الأزمنة ببعضها.

ولابد أن لحد الفعل عند النحويين الأقدمين، وذكر سيبويه: «وأما الفعل فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون و لم يقع وما هو كائن لم ينقطع. فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد وأما بناء ما لم يقع فإنه كقولك: أمرا اذهب واقتل واضرب ومخبرا يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن»[2].

وصاحب "الكتاب" في عرضه هذا يثبت أن الفعل مادة أخذت من "أحداث الأسماء" ويريد بأحداث الأسماء المصادر فهو يقول معقبا: والأحداث نحو القتل والضرب والحمد، وجاء في كتاب "الجمل" للزجاجي: «والفعل ما دل على زمان ماض أو مستقبل نحو قام يقوم وعقد يقعد وما أشبه ذلك»[3].

---

[1] إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني، بغداد، دط،1966، ص 15.

[2] يراجع: المرجع نفسه، ص 15-16.

[3] يراجع: المرجع نفسه، ص 16.

وهو في هذا التعريف قصر الفعل على المضي والاستقبال وهو يرى أن فعل الحال في الحقيقة مستقبل لأنه يكون أولا، فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز المضي، ولهذا العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل نحو: زيد يقوم غدا.

وقد استعملوا المصطلح مضارع مشيرا إلى فعل الحال والاستقبال، وهذه التسمية تعرب عن انصراف النحويين الأقدمين عن حقيقة الفعل ووظيفته اللغوية الصحيحة في بناء الجملة وهي الخصوصية الزمانية. كونه مضارعا يعني مشابها للاسم، وإذا كان قد شابه الاسم ومضارعه فإنما كان ذلك بسبب "الإعراب" فهو "يرفع" و "ينصب" و "يجزم" والإعراب عندهم من خصائص الأسماء أي أن الأصل في الاسم عندهم أن يكون معربا[1].

واهتمامهم بمسألة عمل الفعل في رفع الفاعل ونصبه المفعول والصفة واسم التفضيل اشتباها للفعل، وناحية الشبه هي أن هذه المواد تعمل عمل الفعل. و لم يكترثوا للناحية الزمانية، وكان خيرا لهم أنهم الحقوا هذه المواد بالمادة الفعلية من حيث إفصاحها عن الزمان وإبرازه في حدود واضحة[2].

2) المتعدي واللازم:

الأفعال في العربية قسمان: **متعد:** وهو ما لا يكتفي بمرفوعه بل يتعدى إلى المفعول نحو: "ضرب، وأخذ".

لازم: وهو ما يكتفي بمرفوعه نحو: "قام وقعد وفرح وعظم".

ومن الأفعال ما لا يكتفي بمرفوعه بل يتعدي إلى شيء آخر وذلك بوساطة حرف جر نحو: "رغب فيه أو عنه أو ذهب به". وهذا الصنف من الأفعال أدرجه النحويون في باب "اللازم" وكان حقه أن يكون صنفا خاصا[3].

ثم أنهم أشاروا إلى طائفة أخرى تنصب ثلاثة مفاعيل. و لم يهتم النحويون الأقدمون بالناحية التاريخية في هذه الأفعال وتطورها، ولكنهم قدموا المتعدي في الذكر على اللازم وهذا قد يوحي لنا

[1] يراجع: إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ص18.

[2] يراجع: المرجع نفسه، ص 18-19.

[3] يراجع: المرجع نفسه، ص 82.

أنهم أحصوا المتعدي فوجدوه أكثر من اللازم، وهذا سبيلهم أبدا في مباحثهم اللغوية النحوية فهم يقدمون الأكثر على الأقل[1].

إن قلة اللازم في العربية بحتية على أبنية محدودة فلا يمكن أن يجعل من هذا الفعل "عارضا طارئا" والذي أراه أن الفعل أصله قصر لازم ثم صار من هذه الحالة إلى المتعدي وذلك جربا على طبيعة العربية المتشبثة أبدا بالإيجاز. والإيجاز صفة الكلام البليغ ألا تراهم يقولوا: "البلاغة الإيجاز"[2].

ونستطيع أن نذهب في الأفعال الأخرى التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر وهي: "حسب وظن وخال وعلم ورأى وزعم". فإذا قلت: "ظننت زيدا عالما" فكأن التقدير: " ظننت العلم في زيد"، وهكذا في سائر الأفعال فالمفعول الثاني هو المفعول الحقيقي، أما المنصوب الأول فهو شيء يبعد المفعولية وإنما توسع في التعبير فانتصب أما ذهبوا إليه من الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل وهي: "أعلم ورأى وأنبأ ونبأ وأخبر وحدث". فهي تتعدي إلى مفعول واحد هو المفعول الثاني أما المفعول الأول فقد انتصب توسعا وذلك بإسقاط حرف الجر أما الثالث فهو نعت للمفعول الثاني نحو: "أعلمت زيد الخبر صحيحا".

وبعد هذا العرض الوافي تبين لنا أن الفعل قاصر مكتف بمرفوعه نحو: "كرمُ زيد، وحسن عمرو وقام بكر".

ولازم يتعدى إلى مفعوله بحرف ثم يتوسع في هذا طالبا للخفة والإيجاز سيرا مع العربية التي جرت على هذه الناحية فصارت سمة من سمات البلاغة وبهذا كانت لنا الأفعال التي تتعدى إلى مفعولها من غير حرف جر.

وهذا هو التطور اللغوي في استعمال الفعل من لازم إلى متعد وبذلك كثر المتعدي في الأفعال وقلّ اللازم وانحصر في أبنية خاصة فإن الغلبة في: "فُعْل" مضموم والعين قاصر مكتف بمرفوعه وكذلك "فَعِلَ" الدال على الصفات والأعراض نحو : "فرح وجزع"[3].

---

[1] يراجع: إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ص82.

[2] يراجع: المرجع نفسه، ص 84.

[3] يراجع: المرجع نفسه، ص 89.

فعل الأمر:

وهو من المضارع بعد نزع حرف المضارعة. جاء المفصل "لابن يعيش": «وهو الذي على طريقة المضارع للفاعل المخاطب لا يخالف بصيغته إلا أن تطرح الزائدة فتقول في "تضع ضع" وفي "تضارب ضارب" وفي "تدحرج دحرج" ونحوهما مما أوله متحرك فإن سكن زدت لئلا تبتدئ بالساكن همزة وصل فنقول في "تضرب اضرب" وفي "تنطلق انطلق"...»[1].

ثالثا: نشأة النحو العربي:

اللغة العربية من أهم المقومات في مجتمعنا فهي عنوان حضارتنا وسجل تاريخنا لأنها أداة الاتصال، نشأت في أحضان جزيرة العرب خالصة لأبنائها، نقية سليمة مستكملة لأنهم كانوا أمة فصاحة وبلاغة متأثرة بالبيان الرفيع.

فلما سطع نور الإسلام على جزيرة العرب وارتضوه دينا ودخل الناس في دين الله أفواجا وخرجوا خارج جزيرتهم لنشره، فاختلط العرب بالعجم من أهل البلدان المفتوحة وتصاهر واندمج بعضهم في بعض. وقضى الإسلام أن تكون لغة القرآن اللسان الجامع بين المؤمنين وكان عسيرا عليهم معرفة اللسان العربي.

وكان طبيعيا أن تتأثر لغة العرب فتتسرب إليها كلمات أجنبية أو تتغير أبنية بعض الألفاظ، أو يختل ضبط بعض حروفها أو تركيب جملها وأساليبها[2].

فبدأ ظهر اللحن في أول مرة يسيرا ثم ما لبث أن ازداد، وكان أول ظهوره في الإعراب وأواخر الكلمات التي تختلف المعاني باختلافها، ثم امتد إلى الصيغ الأدبية[3].

---

[1] يراجع: إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ص48.

[2] ينظر: ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، تقديم: حسن شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، دط، 2002، ص 17.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 18.

وقال ياقوت: مر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على قوم يسيئون الرمي، فقرعهم فقالوا: إنا قوم متعلمين، فأعرض مغضبا وقال والله لخطأكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في الرمي[1]. وقد قدم رجل أعرابي في خلافة عمر فقال: من يقرئني شيء مما أنزل الله على محمد؟ فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللحن: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، فقال الأعرابي: "إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرء منه"، فبلغ عمر ما قاله الأعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة وقص القصة، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: "... وَأَذَانٌ مِّنَ اللّه وَرَسُولَه..."[2]، فقال الأعرابي: وأنا أبرأ ممن بريء الله ورسوله منهم، فأمر عمر —رضي الله عنه- أنه لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة[3].

وتكاد تكون قصة بنت أبي الأسود المعلم المشهور في تاريخ النحو[4] (ويذكر الجاحظ أن أول لحن في البادية، هذه عصاي، وأول لحن سمع في العراق: حي على الفلاح بكسر الياء بدل فتحها)[5].

(لذلك عني العلماء —علماء اللغة- ببيان ما يلحن فيها الناس كي يجتنبوه ويعود إلى السداد وبدأ التأليف في لحن العامة، ولما فشى اللحن فيهم اتجه التأليف إلى لحن الخاصة، هذا ويعتبر "ما يلحن فيه العوام" أقدم كتاب وأثر وصل إلينا في اللحن)[6]، فاجتهدوا في حفظ العربية وتيسير تعلمها لأعاجم وشرعوا يتكلمون في الإعراب وقواعده حتى تم لهم مع الزمان هذا الفن.

---

[1] ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تعليق: عبد العظيم الشناوي، المملكة العربية السعودية، دط، دت، ص18.

[2] سورة التوبة، الآية: 03.

[3] ينظر: أبو بكر محمد الأنباري، تاريخ الأدباء النحاة المسماة: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، جمعية مآثر العرب، دط، دت، ص 07.

[4] ينظر: الأفغاني، من تاريخ النحو: تاريخ ونصوص، الجامعة اللبنانية، دط، دت، ص10.

[5] المرجع نفسه، ص 11.

[6] ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، ص18.

وقد كان وضعه عربيا محضا لا دخل لغير العرب فيه، نشأ في العراق في صدر الإسلام نشأة عربية على مقتضى الفطرة[1]. لأسباب اللحن التي دعت إلى وضعه ثم تدرج به التطور تماشيا مع نسبة الترقي، حتى كملت أبوابه غير مقتبس من لغة أخرى لا في نشأته ولا في تدرجه[2].

ورأى بعض الباحثين أن النحو نشأ لفهم القرآن الكريم، وليس لأسباب اللحن باعتباره المصدر الأول في الأحكام الشرعية، التي تتناول حياة المسلمين الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وهذا رأي له وجاهته وأصالته لأن الفهم يقصد إلى البحث عن ما يستدعي استنطاق النص في معرفة ما يؤديه التركيب القرآني من معاني وبلاغة وباعتبار على ما في العربية من بيان وفصاحة ومجاز[3].

ولقد اختلف في واضع هذا العلم الجليل فقيل أبو الأسود الدؤلي وهو البين الشائع، ويرى الأنباري الصحيح أن أول من وضع النحو هو الإمام علي –كرم الله وجهه– (لأنه روي عن أبي الأسود الدؤلي أنه سئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ قال: لففت حدوده من علي بن أبي طالب)[4]. وهناك بعض الروايات تحيل أولية الوضع إلى عدة أشخاص منهم: عبد الرحمن بن هرمز الأعراج وزعموا أنه نصر بن عاصم الليثي وقالوا: أنه ميمون الأقرن وأرجعه البعض إلى عبد الله بن إسحاق وآخرون إلى عيسى بن يعمر[5].

وقد اجتمع الرواة والعلماء أن أبا الأسود مبتكر شكل المصحف وواضع ضبط القرآن بالنقط وأنه قال لكاتبه: (إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحروف فأنقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف، وإن صاحب ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين)[6]. وبذلك يكون قد وضع ضوابط الشكل الإعرابي يتمثل في

---

[1] ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص14.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 14.

[3] شرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، دط،2002، ص 72-73.

[4] الأنباري، نزهة الألباء، ص 8.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 7-8.

[6] أبو النديم، الفهرست، تح: مصطفى الشويحي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، دت، ص191.

تنقيط أواخر الكلمات بالمداد الأحمر، تمييزا لما هو مرفوع عما هو منصوب أو مجرورا [1]. فلعل هذه من تلك تكميلا لما بدأ به من القيام بما يُحفظ على المسلمين كتابهم الكريم، ولغتهم الشريفة.

ولقد أختلف أيضا في أول ما وضع منه فقيل: إن ما وضع من أبوابه هو ما وقع اللحن فيه، ثم استمر الوضع فيما بعده على هذا النمط [2]، وقيل: أول ما وضع منه ما كان أقرب إلى متناول الفكر والاستنباط لأن وضعه مبني على أساس من التفكير في استخراج القواعد من الكلام لداعي انتشار اللحن، فالموضوع أولا ما كثر دورانه على اللسان ثم ما يليه وهكذا[3].

ويقال أن أبا الأسود ما سطر في كتاب الكلام اسم وحرف جاء لمعنى[4] وإن اختلاف أولية ما وضع من النحو وأول من وضعه لا يهمنا —في بحثنا هذا– بالقدر الذي يهمنا تتبع نشأته، فقد نشأ النحو أول أمره صغير شأنه في ذلك كل كائن بالبصرة التي كان أهلها بطبيعتهم ميالين إلى اتقاء وباء اللحن، فتتلمذ على يد أبي الأسود جماعة منهم وعملوا على تنمية ما وضعه وتطويره وزادوا فيه ما شاء لهم أن يزيدوا، ونذكر منهم: يحيى بن عمرو عنبسة الفيل وميمون الأقرن ونصر بن عاصم الليثي وعطاء بن أبي الأسود وأبو نوفل بن أبي عقرب وابن إسحاق الحضرمي الذي يقال: (أنه أول من بحث النحو ومد القياس والعلل)[5]، والمعروف بتشديده في الاعتماد على القياس النحوي وإهداره كل ما يخالف ذلك القياس من استعمالات وموقفه من الفرزدق وتخطئته له [6]، وابن عمرو الثقفي أول من ألف في النحو كتابي الجامع والمكمل[7].

---

[1] ينظر: ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو في ضوء الاتجاهات الحديثة، ص19.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 20.

[3] ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المطبعة الأزهرية، مصر دط،1930، ص 546.

[4] ينظر: الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط5، 1986، ص 89.

[5] ينظر: شرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، ص 73. نقلا عن: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 14.

[6] ينظر: طاهر سليمان حمودة، نصوص مختارة في كتب النحو، الدار الجامعية، دط، دت، ص15.

[7] ينظر: شرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، ص 73. نقلا عن: السيراغي، أخبار البصريين النحويين، ص27.

وقد ارتبط هؤلاء بالقرآن وقراءته إلى جانب الآراء والنظرات النحوية واللغوية، وبمجيء الخليل دخل النحو مرحلة جديدة، إذ لعب دورا رئيسيا في بناء نظرية عربية كاملة شملت كل مستويات اللغة من صوتيات ونحو ودلالة[1].

وقد بلغ غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فمهد الطريق أمام تلميذه سيبويه الذي وضع الملامح الرئيسية لنحو العربي والدرس اللغوي كافة [2]، والذي جاء بقرآن النحو "الكتاب" هكذا أسماه البعض (وهو الكتاب النحوي الذي جمع القضايا النحوية والصرفية)[3].

(فلقد استعظم القدماء هذا الكتاب وشبهوا دراسته بركوب البحر وكان أتباعه يفاخرون به وخصومه يقرؤونه سرا على تلاميذ سيبويه ولا يجاهرون...)[4].

ويعتبر الإشارة إلى أن أبا الأسود الدؤلي ومن جاء بعده من تلاميذه قد عاشوا في مدينة البصرة، فكانت المهد الأول لنحو العربي و لم تلبث أن أصبحت مدرسة أخرى في مدينة الكوفة تختلف في منهج التقعيد النحوي العربي وأصوله وضوابطه، إذ يقول الدكتور محمد الطنطاوي أن هذا العلم قد مر بأربعة أطوار وهي:[5]

- طور الوضع والتكوين (البصرة)
- طور النشوء والنمو (بصري كوفي)
- طور النضج والكمال (بصري كوفي)
- طور الترجيع والبسط في التصنيف (بغدادي، أندلسي، مصري، شامي).

[1] ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط،2002، ص 38.

[2] ينظر: شرف الدين الراجحي، مبادئ اللسانيات الحديث، ص74.

[3] المرجع نفسه، ص 75.

[4] سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، ص114.

[5] ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص27.

رابعا: أهمية النحو ودوره

لا تقتصر وظيفة النحو على ضبط الكلمات وحسب، إنما تتسع إلى مدى أكبر وميدان أرحب وهذه آراء العلماء في أهمية النحو ووظيفته، يقول الزجاجي في الفائدة من تعلمه:[1] الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله عزوجل الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وإقامة معانيها على الحقيقة لأنه لا تفهم معانيها إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب، وهذا ما لم يدفعه أحد ممن نظر في أحاديثه صلى الله عليه وسلم وكلامه، وقال عزوجل في كتابه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾[2]، ويقول ابن خلدون: (بأن للسان العربي أركان أربعة، وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة إن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب، ونقلته من الصحابة والتابعين العرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم) [3]، ثم يضيف: (أما من تكلم من العامة بالعربية بغير إعراب فيفهم عنه فإنما ذلك في المتعارف المشهور والمستعمل، المألوف بالدراية، ولو التجأ أحدهم إلى الإيضاح عن معنى ملتبس مع غيره من غير فهمه بالإعراب لم يمكنه، وهذا أوضح من أن يحتاج إلى الإطالة فيه)[4].

ويقول الدكتور عباس حسن في مقدمة كتابه الوافي: (النحو عامة العلوم العربية وقانونها الأعلى، منه تستمد العون وتستلهم القصد، وترجع إليه في جليل مسائلها وفروع تشريعاتها، ولن تجد علم منها يستقل بنفسه عن النحو أو يستغني عن معونته أو يسير بغير نور هداه... فهو وسيلة المستعرب وسلاح اللغوي وعماد البلاغي وأداءهم المشرع والمجتهد والمدخل إلى علوم العربية الإسلامية جميعا)[5].

---

[1] ينظر: الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص95.

[2] سورة الزمر، الآية 28.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص 482.

[4] المصدر نفسه، ص 482.

[5] عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج1، دط، دت، ص 2.

ويتعرض عبد القاهر الجرجاني إلى من زهد في النحو وبيان خطئه في ما ذهب إليه:

(أما زهدهم في النحو احتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم الذي تقدم وأشبه أن يكون صدا عن كتاب الله ومعانيه) [1]، وصنيعهم الذي تقدم يعني زهدهم في الرواية —رواية الشعر- وفي الاحتجاج باللغة العربية والحاجة إليه: (إن الإعراب هو الفارق بين المعاني ألا ترى أن القائل إذ قال: "ما أحسن زيد لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا الإعراب... هذا وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: أعربوا القرآن، وقد كان الناس قديما يتجنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب، فأما الآن فقد تحوّزا حتى أن المحدث يحدث فيلحن والفقيه يؤلف فيلحن فإذا نبها قالا: ما ندري ما الإعراب وإنما نحن محدثون وفقهاء فهما يسرّا بماء يساء به اللبيب)[2].

ونستطيع القول أن الفائدة المتحصل عليها من النحو هي:[3]

1 -الوقوف على أصل من أصول التفكير العربي في هذا العلم بعناصره المكتملة، حيث لم يترك السابقين لخالفين ما يمكن أن يضيفوه، وكيف أن العقل العربي استطاع تحليل الظواهر و لم يأخذ القضايا مسلمات وإنما سير غورها وناقشها.

2 -النحو حفظ التراث العربي من التحريف فكتب النحو محشوة بشواهد شعرية نقلها النحاة من العرب الفصحاء.

3 -ساعد النحو العربي على تقويم اللسان وتعويده على النطق العربي الفصيح.

4 -تقويم كتاب الله عزوجل فدارس النحو يستطيع أن يقف على الدلالة الصحيحة لأنه على دراية بأصول العربية من خلال هذا العلم.

5 -معرفة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا وكان أفصح العرب في عبارة موجزة دالة.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة القاهرة، دط، دت، ص80.

[2] ابن فارس، الصاجي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، ط1993، ص 66.

[3] ينظر: صابر بكر أبو السعود، النحو العربي دراسة نصية، دار الثقافة للنشر، دط،1988، ص 39-42.

6 -الوقوف على اللغة العربية الصحيحة في معالمها الرئيسية، والتكلم باللسان العربي الفصيح لأنه احتفظ بالقاعدة وبالعبارات التي استوعبت هذه القاعدة.

7 -لا جدال في أن النحو العربي هو الذي فتح الباب لعلم البلاغة العربية ولا ينكر أحد أثر الدرس النحوي في الدرس البلاغي، والنظر في كتاب سيبويه يؤكد هذا المعنى فقد تناول سيبويه الإيجاز فقال: «والعرب يميلون في لغتهم إلى الإيجاز، فقدموا وأخروا وصولا إلى المعنى وعرفوا الاختصار كصورة من صور الإيجاز»، إلى آخر ما سجله في كتابه فيما يكشف عن أصول البلاغة العربية مما فتح الباب بدراسة أثر النحو في الدرس البلاغي.

8 -احتفظ لنا النحو العربي ببعض اللهجات العربية فعكس لنا مثلا لهجة الحجازيين أو التميميين[1].

[1] الدكتور صابر بكر أبو السعود، النحو العربي، المرجع السابق، ص39-40.

المبحث الرابع: المستوى الدلالي

أولا: ماهية علم الدلالة

ثانيا: الدرس الدلالي بين القدامى والمحدثين

ثالثا: نشأة علم الدلالة

رابعا: مناهج علم الدلالة

أولا: ماهية علم الدلالة

علم الدلالة (Le sémantique) قطاع من قطاعات الدرس اللساني الحديث شأنه في ذلك شأن الأصوات والتراكيب، وإن كان المفهوم السائد هو اقتصار علم الدلالة على دراسة المفردات وما يتعلق بها من مسائل. فهو علم يبحث في معاني الألفاظ وأنواعها وأصولها والصلة بين اللفظ والمعنى وتطوره الدلالي ومظاهره المختلفة والأسباب المتحكمة فيه وأهم القوانين التي يخضع لها، معتمدة على المنهج الوصفي التاريخي[1].

تعني بترتيب الوحدات المعنوية وفق سماتها الدلالية المعروفة والمقبولة في اللغة[2]. فالدلالة عنصر من عناصر اللغة يدرس المعاني، الألفاظ أو الجمل أو العبارات[3]، تمثل رابطة مباشرة بين مفردات اللغة والعالم الحقيقي وتهتم بالعلاقة بين اللغة والفكر[4].

ثانيا: الدرس الدلالي بين القدامى والمحدثين

I) الدرس الدلالي عند القدامى:

* الدرس الدلالي عند ابن منظور:

*– طريقة ابن منظور في ترتيب معجمه:

«إن أول ما يلفت انتباهنا في مادة لسان العرب قضية الوضع والترتيب فيكفينا أن نشير إلى أن ابن منظور كان أول من وفر لنا في مقدمته نظرة نقدية إجمالية موجزة عن وجوه ذلك الوضع كما تصوره سابقوه»[5].

«إن اعتمادنا مقدمته التي تدلنا أن صاحبها لم يكن جامعا ناقلا، بل معجميا مجددا قد تصوّر المعجم انطلاقا من المدونة لا من الرواية. فالتجديد في المعجم في عصره لا يقاس بالرواية المباشرة

---

[1] عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح، دار بن الفجاءة، قطر،1985، ص 47.

[2] أنظر: أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، (أهميتها ومصادرها ووسائل تنميتها)، عالم المعرفة،1996، ص 30.

[3] أنظر: نايف معروف، عادل جابر، خالد فلاح، الجامع في اللغة العربي، الثقافة العامة، دار الصفاء، عمان، ط 4، 1996، ص 17.

[4] نايف حزما، أضواء على الدراسات اللغوية، عالم المعرفة، الكويت،1978، ص 256.

[5] محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1986، ص 143.

التي انقرضت واستحالت بل بتصور مفهوم المدونة ومستلزماتها من حيث الجمع والوضع. ولذلك يعتبر ابن منظور أول من ابتكر هذا المنهج والمال إليه وجعله سنة من السنن العامة للمعجم عموما»[1].

فقد جمع مادته من تهذيب اللغة "للأزهري" ، والمحكم "ابن سيدة" والصحاح :للجوهري"، والحواشي "لابن بري"، وجمرة اللغة "لابن دريد"، ومن هنا اعترف بفضل بعضها ومتانة مادتها. وبذلك فهو يحوي أكثر من ثمانين ألف مادة، ويعد أضخم المعاجم حجما فهو موسوعة لغوية ضخمة، لكنه أبسطها مادة، وأحفلها استشهادا[2]، أما خصائص هذا المعجم: «قد قسم معجمه إلى أبواب حسب الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية، مع مراعاة الترتيب الألفبائي، فباب الباء مثلا للكلمات المنتهية بحرف الباء، فإذا رميت البحث عن كلمة "أخذ" عليك باب الذال من فصل الهمزة...

ولقد صدر بعض أبوابه بكلمة عن الحرف المعقود له الباب ذاكرا فيه مخرجه وصفته، واختلاف النحويين حوله، وقد قال في صدر حرف العين والغين والحاء، لا يأتلفان في كلمة واحدة لقرب مخرجهما إلا أن يألف فعل من الجمع بين الكلمتين مثل حيّ (حيتعل).

اهتم "ابن منظور" فيه بأشعار العرب وباللغات والقراءات والنوادر وقواعد اللغة وأكثر من أسماء الرواة.

اتبع طريقة خاصة في التفسير، حيث عمل على التفسير بالمغايرة وتفسير كلمة بأخرى، وتفسيرها بأكثر من كلمة، أو تفسيرها بالسياق أو التفسير اللغوي.

ورتبه حسب ترتيب أواخر الكلمات، كما فعل الجوهري في صحاحه؛ حيث حاول أن يرتّب ما رآه صالحا وفق لترتيب الحرف الأخير في الكلمة، ثم يفرّع على الباب فصولا وفق لتوالي الحروف الأولى من كلمات الباب.

---

[1] محمد رشاد الحمزاوي، المرجع السابق، ص 144.

[2] بلعيد صالح، مصادر اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1994، ص 88. وحسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار العلم، دمشق، ط1، 1990، ص 112.

فجاء حافلا بأقوال النحاة وشروح الدواوين والمجامع الشعرية، جمع فيه من الشواهد ما لم يجمعه معجم مثله، ورتبه على منوال الصحاح في أبوابه وفصوله، إلا أنه أضاف كل كلمة في مكانها، وراعى الأصل والزوائد»[1].

المهم أن معجمه الموسوعي هو أول معجم سعى إلى حصر جميع ما أسماه الخليل بالمستعمل في اللغة أو الموجود بالفعل في عصره مقابلة بالمهمل أو الموجود بالقوة[2].

II) الدرس الدلالي عند المحدثين:

*** الدرس الدلالي عند إبراهيم أنيس:**

وفي هذه محاولة لتلخيص ما جاء في كتاب "دلالة الألفاظ" لإبراهيم أنيس إلى محاورْ كبرى، ابتداء بنشأة الكلام ووصولا إلى دور الدلالة في الترجمة.

نشأة الكلام: لم يظفر بحث من البحوث اللغوية بقدر وفير من التأمل والتفكير، مثل الذي ظفرت به نشأة اللغة، حيث تناولها فلاسفة اليونان، المتكلمون وأهل الأصول من علماء العرب باستشفاف شيء من أسرار نشأتها، فظهر موقفان:

الموقف الأول: يقول أنها توفيق من الله سبحانه وتعالى، أما الموقف الثاني: رأوا بأن اللغة اصطلاحية (تواضع عليها أفراد المجتمع).

واستمر البحث في نشأة اللغة حتى العصر الحديث، مما أدى إلى ظهور عدة نظريات وآراء حولها، تقوم على أسس ثلاثة:

1 -دراسة مراحل نمو اللغة عند الأطفال.

2 -دراسة اللغة في الأمم البدائية.

3 -دراسة تاريخية للتطور اللغوي.

---

[1] بلعيد صالح، مصادر اللغة، المرجع السابق، ص86.

[2] يراجع: محمود رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي، ص145. وابن منظور، لسان العرب، 2/1-4.

وهذه النظريات هي التي نأخذ بها، لأنها تأسس عناصرها على أسس علمية واضحة المعالم، وخاضعة للتجربة الحديثة[1].

ومع هذا فالنتيجة لم تحسم بعد.

الدلالة:

* **أداتها**: أداة الدلالة هي اللفظ تحديدا وليست الكلمة، فالنحاة القدامى استشعروا مع اللفظ عملية النطق وكيفية صدور الصوت، وما يستتبع هذا من حركات اللسان والشفتين، و "الكلمة" رأيهم أخصّ لأنها لفظ دل على معنى[2].

* **أنواعها**: أما أنواع الدلالة بحسب مصدرها فهي:

1- دلالة صوتية: وهي مستمدة من عمليات النطق، ومن طبيعة بعض الأصوات المنطوقة، ومن النبر الذي تتغير له الدلالة.

2- الدلالة الصرفية: وهي مستمدة من الصيغ وبنية الكلمات.

3- الدلالة النحوية: يحتم نظام الجملة العربية أو هندستها، ترتيبا خاصا، لو اختل أصبح العسير أن يفهم المراد منه.

4- الدلالة المعجمية أو الاجتماعية: وهي مفهوم الكلمة المستقل من أصواتها وبنيتها والذي على أساسه يتم التفاهم بين أفراد المجتمع»[3].

الصلة بين اللفظ ودلالته (قدامى – محدثون):

1- نظرة الفلاسفة اليونان: اختلافهم بين الصلة الطبيعية للفظ ومدلوله وبين الصلة المعرفية، وقد تأثر العرب بآرائهم فانقسموا إزاء ذلك إلى فريقين[4].

---

[1] عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، دار الفكر العربي، ط1، 1969، ص 13-35.

[2] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984، ص 38.

[3] يراجع: المرجع نفسه، ص 38.

[4] المرجع نفسه، ص 44، 51.

2- أما رأي المحدثون من اللغويين الأوربيين: فيتزعمهم "جسبرسن" الذي تنبه لفكرة الربط الوثيق بين اللفظ ودلالته. والمواضع التي تتوثق فيها هذه الصلة في رأيه: ليس الربط طبيعيا ذاتيا ولكنه ربط مكتسب[1].

استيحاء الدلالة:

إن هناك استيحاء الدلالة من الألفاظ، وذلك أنه "توحي أصوات اللفظ المجهول الدلالة لذهن المرء بمعنى خاص يستنبط على أساس ما في الذهن من ألفاظ" مثل: "الهبلع" تعني "الأبله العبيط" كما تعني "الأكول النهم" وهو المعنى المعجمي الصحيح، كما أن لها تفاسير أخرى[2].

المركز والهامش في الدلالة:

- معنى الدلالة المركزية: هو القدر المشترك من الدلالة بين أفراد البيئة، وهو الذي يسجله اللغوي في معجمه ويسميه بالدلالة المركزية.

- "أما الدلالة الهامشية: فهي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم..." وتسود هذه الأخيرة في بعض مجالات الحياة، كالمجال السياسي، والدلالة الهامشية هي المسؤولة عن روائع الأدب[3].

تطور الدلالة:

هي ظاهرة شائعة في كل اللغات، وهذا التطور طبيعي، تدعوا إليه الضرورة الملحة. ومن الألفاظ التي لحقها التطور:

- "بغددة": بمعنى التدلل، وهي من استعمال قديم هو: "تبغدد الرجل أي انتسب إلى بغداد وأهلها" أي أصبح متحضرا راقيا في سلوكه.

---

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 62، 74.

[2] المرجع نفسه، ص 75، 89.

[3] يراجع: المرجع نفسه، ص 106، 121.

- "البهدلة": ذات معنى مألوف في لهجات الخطاب يخالف ما كانت عليه العربية الصحيحة من معنى "ألخفة" ومن مظاهر التطور الدلالي: الحقيقة والمجاز[1].

عوامل تطورها:

تتمثل عوامل التطور الدلالي في مظهرين أساسيين:

1- الاستعمال: دوران الكلمة على الألسنة، سبب من أسباب التطور.

2- الحاجة: التطور المقصود المتعمد، نظرا للتطور الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي... والحاجة إلى مصطلحات جديدة سواء أكانت قديمة أو مستعارة[2].

أعراض التطور الدلالي:

للتطور في الدلالة أعراض ومظاهر مختلفة، وهي كما يلي:

1- تخصيص الدلالة: تطور دلالة الألفاظ من العام إلى الخاص.

2- تعميم الدلالة: انتقالها من الخاص إلى العام (وهو قليل في اللغة).

3- انحطاط الدلالة: هو ما يصيب بعض الألفاظ من ضعف وانحطاط.

4- رقي الدلالة: كما تنحط الدلالة في ألفاظ، قد تقوى في ألفاظ أخرى.

5- تغيير مجال الاستعمال: وهو ما يسمى بالمجاز[3].

الدلالة والترجمة:

إن للدلالة دور مهم في عملية الترجمة، فقد عرض كثير من الباحثين لهذه المشكلة، وقصورها عن تصوير كل ما يتضمنه النص المترجم من أفكار، وأخيلة، وجمال لفظي، ولكنهم مع هذا لم ينصرفوا عن الترجمة، ذلك لأن الأمم والشعوب في حاجة ملحة للاتصال فيما بينهم، وفي تبادل الثقافة كما يتبادلون السلع، فأداة التفكير (اللغة) تختلف من أمة إلى أخرى.

---

[1] يراجع: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 122، 133.

[2] يراجع: المرجع نفسه، ص 134، 151.

[3] يراجع: المرجع نفسه، ص 152، 167.

فأحيانا يخيل إلينا أن الاتصال عسير، وأحيانا أخرى يراها الباحث هيّنة ويسيرة[1].

ثالثا: نشأة علم الدلالة:

وقد ظهر الاهتمام بالدراسات الدلالية في أوربا الغربية باديء ذي بدء في المحاضرات التي كان يلقيها "ريسيغ" (RECIG) في هال (Halle) حوالي عام 1825[2]، وأول من استعمل مصطلح علم الدلالة هو اللغوي الفرنسي "ميشال بريال" (Michel Breal)، وكان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر، وقد تناوله أول مرة في دراسة علمية عن المعنى صدرت عام 1797 بعنوان (محاولات في علم الدلالة) (Essais de Sémantique)[3]، وقد كان لمبادرة "بريال" دور في ميلاد فرع جديد لدراسة المعنى له خاصية استقلالية، ومنذ وقته والعلم يعرف على أنه العلم أو النظرية التي تعني بالدلالة.

وعلم الدلالة كغيره من العلوم شهد مراحل عدة، فالدلالة في مراحلها الأولى تتناول ضمن اهتمامات لغوية متنوعة غير مستقلة بذاتها، وظهرت أولياتها على يد "بريال" و"ماكس مولر" (Max Muller)، ثم ظهر السويدي "أدولف نورو" (Adolf Noreau)، وبعده "كيرستوف نيروب" (Kristofer Nirop)، و "كاس تافستن" (Cus Tafsten)، وظهر "ستيفن أولمان" (S. Ulman)[4]، الذي أثرى الدراسات الدلالية بعدة كتب.

رابعا: مناهج علم الدلالة

يبحث علم اللغة الحديث مجالاته المختلفة، وهي: الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة، بأربعة مناهج، وهي: المنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج التقابلي. ومعنى هذا أن البحث الدلالي يمكن أن يتم بكل منهج من هذه المناهج، وعلى ذلك فهناك:

---

[1] يراجع: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص152، 167.

[2] أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر، ص239.

[3] نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية،2006، ص 15.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 15-16.

علم الدلالة الوصفي، وعلم الدلالة التاريخي، وعلم الدلالة المقارن، وعلم الدلالة التقابلي[1].

أ- علم الدلالة الوصفي: جزء من الدراسة اللغوية الوصفية، وهي الدراسة التي تبحث لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه أو مكان بعينه. وعلى هذا فإعداد دراسة دلالية لعربية الشعر الجاهلي أو دراسة دلالية للقرآن الكريم أو دراسة دلالية للعربية الفصحى المعاصرة تعد من قبيل الدراسة الدلالية الوصفية. وكل دراسة دلالية لمستوى لغوي واحد تدخل في هذا الإطار، سواء أكانت هذه الدراسة للغة قديمة أو حديثة، للهجة قديمة أو حديثة. وهذه الدراسات الدلالية الوصفية من شأنها أن[2]، تكون مفيدة في إعداد معاجم المستوى اللغوي الواحد، أي معاجم اللغة الواحدة في عصر بعينه أو معاجم اللهجة الواحدة في عصر بعينه ومكان بعينه.

ب- علم الدلالة التاريخي: جزء من الدراسة اللغوية التاريخية، يبحث لغة واحدة أو لهجة واحدة دراسة تاريخية عبر القرون، والفرق بين البحث اللغوي الوصفي والبحث اللغوي التاريخي أن الأول يعني بدرس اللغة الواحدة أو اللهجة الواحدة في زمن بعينه والثاني يدرسها عبر الزمن. وهذه الدراسة الدلالية التاريخية مرتبطة أوثق الارتباط بالمعاجم التاريخية، أي معاجم اللغة الواحدة في نموها التاريخي عبر القرون[3].

ج- علم الدلالة المقارن: جزء من الدراسة اللغوية المقارنة، وهي الدراسة التي تبحث مجموعة لغات من أصل واحد، أي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة فدراسة الدلالة في مفردات اللغات السامية بالمنهج المقارن يعني دراسة هذه المفردات في كل اللغات السامية لتعرف المعنى الأقدم ولتحديد مسار التغير الدلالي لهذه المفردات في كل لغة من هذه اللغات. وهذه الدراسة الدلالية المقارنة وثيقة الارتباط بالمعاجم التأصيلية التي توضح أصول المفردات وكذلك بالجوانب التأصيلية من المعاجم

[1] الدكتور محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص131.

[2] المرجع نفسه، ص 131.

[3] المرجع نفسه، ص 132.

العامة عندما يذكر تأصيل الكلمة في أول المادة وقبل شرحها. وتأصيل المواد والمفردات سمة أساسية في المعاجم الحديثة، ومن الجديد في المعجم الكبير الذي يصدره معجم اللغة العربية بالقاهرة[1].

د- علم الدلالة التقابلي: جزء من الدراسة اللغوية التقابلية، وهي الدراسة التي تبحث: لغة ولغة، أو" لغة ولهجة، أو: لهجة ولهجة، أو: لهجة ولغة. إن الدراسة التقابلية هادفة إلى بحث الفروق بين اللغة (أو اللهجة) الأم التي نشأ عليها الفرد، واللغة (أو اللهجة) المنشودة التي يريد أن يتعلمها. فالفروق بينها جزء أساسي من الصعوبات الموضوعية التي تواجه أبناء اللغة (أو اللهجة) الأولى في محاولتهم اكتساب اللغة الثانية. والبحث الدلالي التقابلي عندما ينظر في المستويين محددا الفروق الدلالية[2] بين المفردات في كلتا اللغتين يكون قد حدد الجانب الدلالي من الصعوبات في اكتساب اللغة الثانية. وفوق هذا فإن الدراسة التقابلية من شأنها أن تقدم نتائج مهمة وحاسمة في إعداد المعاجم المزدوجة اللغة[3].

[1] الدكتور محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص132.

[2] المرجع نفسه، ص 132.

[3] المرجع نفسه، ص 133.

الفصل الثالث

(التطبيقي)

علوم اللسان في المقدمة

المبحث الأول: علم النحو

أولا: أسبقية علم النحو على العلوم الأخرى

ثانيا: أهم القضايا التي عالجها ابن خلدون في علم النحو

ثالثا: مراحل تطور علم النحو في نظر ابن خلدون

رابعا: علاقة علم النحو بظاهرة الإعراب في النظرة الخلدونية

المبحث الثاني: علم اللغة

أولا: نظريات نشأة اللغة وموقف ابن خلدون منها

ثانيا: أسباب وضع علم اللغة عند ابن خلدون

ثالثا: مراحل تطور علم اللغة عند ابن خلدون

رابعا: علم الأصوات عند ابن خلدون

المبحث الثالث: علم البيان

أولا: تصنيفات علم البيان

ثانيا: أهم أعلام علم البيان وأعمالهم

ثالثا: أبرز القضايا التي طرحها ابن خلدون في علم البيان

رابعا: أهمية دراسة علوم البيان في فهم علوم القرآن

المبحث الرابع: علم الأدب

أولا: لمحة عامة عن علم الأدب

ثانيا: تصويره لثقافة أهل عصره

ثالثا: حديثه عن الشعر

توطئة:

اختار ابن خلدون مسلك أبي حيان النحوي في استخدام مصطلح "علوم اللسان العربي وتصرف فيه بأن اشتق منه العلوم اللسانية ولكنه اجتهد في مضمونه فأقام تصورا تصنيفيا وبنى بنية رباعية تكشف تصورا نظريا يحدد المراتب التي تتجلى عليها الظاهرة اللغوية إطلاقا.

وخصص لبيان هذه العلوم الفصل الخامس والأربعين من آخر أبواب المقدمة بعنوان "في علوم اللسان العربي".

ذكر ابن خلدون في بداية الفصل هذه الأركان الأربعة (اللغة، النحو، البيان، والأدب) بدون إشارة إلى علامات هذه العلوم وسماها فنّا ثم استأنف الحديث عند التفصيل وسماها "علم اللغة" و"علم النحو" و "علم البيان" و "علم الأدب".

المبحث الأول: علم النحو

أولا: أسبقية علم النحو على العلوم الأخرى

ثانيا: أهم القضايا التي عالجها ابن خلدون في علم النحو

ثالثا: مراحل تطور علم النحو في نظر ابن خلدون

رابعا: علاقة علم النحو بظاهرة الإعراب في النظرة الخلدونية

أولا: أسبقية علم النحو على العلوم الأخرى

قدَّم ابن خلدون –كما سلف- علم النحو على علم اللغة والبيان والأدب، في الأهمية والترتيب يبدو أن ابن خلدون تأثر في هذا الترتيب بطبيعة المجتمع المغاربي الذي فشا فيه اللحن بكثرة، وكثرت فيه اللهجات بسبب شيوع العُجْمَة، مما أدى إلى الابتعاد عن اللغة الفصحى والميل إلى العامية في تلك اللهجات، وبما أن علم النحو يدرس العلاقات القائمة بين المفردات في الجملة، فإنه كان الأولى الاهتمام به بالدرجة الأولى كردة فعل للوقوف في وجه تلك الموجات المختلفة للهجات العامية التي ذهبت بالمقاصد بعيدا، مما حذا به أن يبدأ حديثه عن علم النحو بتعريف اللغة في المتعارف بأنها (عبارة المتكلم عن مقصوده) [1]، ثم راح يفصّل في هذا التعريف بذكر نوعية تلك العبارة، وآلتها، يقول: (وتلك العبارة فعل لساني فلابد من أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان)، ثم يرفع تلك الملكة عند العرب على غيرها من الملكات لدى الأمم الأخرى، مع إقراره بوجودها عندهم، (وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات، وأوضحها إبانة عن المقاصد، للدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعيّن الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلاّ في لغة العرب، وأمّا غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصُّه بالدَّلالة، ولذلك نجد كلام العجم من مخاطبتهم أطول مما نقدّره بكلام العرب، وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «أوتيتُ جوامع الكلم، واختُصر لي الكلام اختصارًا»، فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات أي الأوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها، إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول، كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما

[1] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 425.

ألقى إليها السمعُ من المخالفات التي للمستعربين، والسمعُ أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتبار السمع)[1].

ثانيا: أهم القضايا التي عالجها ابن خلدون في علم النحو

1) إن ابن خلدون قدّم تعليلا لاعتبار ملكة اللغة عند العرب أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد، حيث يمكن لغير الكلمات أن تدّل على الكثير من المعاني، فليست دلالاتها محصورة عند عدد ألفاظها المعجمية بحيث يكون لها من المعاني قدر ما لديها من مفردات بل فيها ما يمكن أن يوضّح المقاصد ويبين الدلالات، ومن أمثلة ذلك: الحركات الإعرابية من فتحة وضمة وكسرة وسكون وغيرها من العلامات الفرعية، فبها يتحدّد الفاعل والمفعول والمجرور ويتميّز أحدهم من الآخر، فتعرّف المقاصد، وكذلك الحروف التي تفضي بمعاني الأفعال إلى الذوات كحروف الجرّ وهذا ما تفتقد إليه ملكة اللغة لدى الأمم الأخرى، مما يميز لغة العرب من غيرها.

2) إنه نعت اللغات الأخرى بالقصور عن بلوغ المقاصد لغير الكلمات، فكل معنى أو حال لابد له من ألفاظ تخصه بالدلالة، مما يجعل تعبيرهم عن معنى ما أطول من حيث عدد الكلمات إذا ما قيس إلى التعبير ذاته بلغة العرب وإن كان البعض يرى أن (اعتقاد ابن خلدون بقصور اللغات الأخرى في الدلالة بغير الألفاظ هو اعتقاد يعوزه الكثير من الصواب)[2].

3) إنه ربط بين هذه الخاصية الموجودة في لغة العرب وتصافها بالإيجاز وعلى الرغم من أن هذا الربط ممكن إلا أنه ليس سببا وحيدا لاتصاف اللغة بالإيجاز، لأن هناك اعتبار للقصر والحذف الذي يُعد من أهم جوانب الإيجاز، إلا إذا كان يقصد بالهيئات في قوله (فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات أي الأوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود)[3]، وقد استشهد على فكرته بحديث نبوي هو قوله صلى الله عليه وسلم: (أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَاخْتُصِرَ لِي الْكَلَامُ

[1] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج1، ص 425.

[2] الفطافطة غسان إسماعيل، القضايا الأدبية في مقدمة ابن خلدون، رسالة ماجستير مطبوعة، الجامعة الأردنية،1989.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج1، ص 425.

اخْتِصَارًا)[1]، ولكن هذا الاستشهاد يراه البعض ليس في موضعه، (لأن موضعه التدليل على بلاغة الحديث النبوي وإيجازه قياسا إلى بلاغة غيره من المتكلمين وإيجازهم، وليس قياسا إلى غيره من الأعاجم)[2].

4) إنه إشارة إلى السليقة اللغوية في تعلم هذه الملكة للدلالة على المقصود بالحروف والحركات والهيئات، حيث يأخذها الآخر عن الأول من غير تكلف ولا تعلم، وإنما هي ممارسة يومية تُسقى بالتداول.

5) إنه رصد تاريخية تغير هذه الملكة وظروفها وأسبابها، فقد بدأت بعد الإسلام، وبالتحديد بعد مفارقة المسلمين للحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم، وأما أسباب هذا التغيير فتكمن في مخالطة العجم للعرب وكثرة السماع للمخالفات اللغوية التي تخدش الملكة المنتقشة في النفس.

6) إنه أولى السماع للمخالفات اللغوية أهمية كبيرة في تغيير الملكة اللغوية السليمة، حيث إنّ السّماع أبو الملكات اللسانية، أيْ به وعنه تنشأ وبه تتغيَّر.

7) أهمية السمع كعنصر تواصلي ومنه التلقي.

ثالثا: مراحل تطور علم النحو في نظر ابن خلدون

المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس، والتي بدأت مع أبي الأسود الدؤلي يقول ابن خلدون: (وأوّل من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويقال بإشارة علي رضي الله عنه، لأنه رأى تغير الملكة، فأشار عليه بحفظها، ففرغ إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة)[3]، فهو يقرر أسبقية أبي الأسود ويسجل أوليته في كتابة النحو، على أنه الخلاف دائم حول ذلك منذ زمن بين الدارسين لأصول النحو[4].

---

[1] العسقلاني بن حجر، مطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ج 1، تح: عبد الله بن عبد المحسن أحمد التويجري، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998، ص 635.

[2] الفطافطة غسان إسماعيل، القضايا الأدبية في مقدمة ابن خلدون، ص68.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج1، ص 425.

[4] شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط7، دت، ص 13.

المرحلة الثانية: مرحلة الحضانة، والتي أشار إليها بين طيات حديثه في إلماحة سريعة أحاطها بشيء من الغموض، حيث إنه لم يشر إلى أيّ ممن كتب في هذا العلم في تلك الفترة الفاصلة بين أبي الأسود والخليل، يقول: (ثم كتب فيها الناس من بعده، إلى أنْ انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي)، وقد فصل الدكتور شوقي ضيف[1] في كتابه "المدارس النحوية" ومن الجهود التي بذلت خلال هذه الفترة، كما أشار إلى بعض المؤلفات التي كتبت من قبل علماء أجلاء من أمثال عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي، وتلميذه عيسى بن عمر الثقفي، ويرجع لهؤلاء الفضل في وضع الكثير من أبواب النحو ومفاهيمه وقواعده، وتمتد هذه الفترة على مساحة زمنية تقدر بنصف قرن، إلا أنها تعد مرحلة حضانة لأنها غير كافية (لنضج هذه القواعد والمفاهيم ورسوخها، وإن الحضرمي لابد اتكأ على جهود سابقة مما يجعل احتمال اشتغال الدؤلي أو غيره من المهتمين بهذه المفاهيم في فترة مبكرة أمرا قائما)[2].

المرحلة الثالثة: مرحلة النضج والاستواء، وقد جاءت هذه الارهاصات التي ذكرناها بعد أبي الأسود، على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، يقول: (ثم انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد، وكان الناس أحوج إليها لذهاب تلك الملكة من العرب، فهذَّبَ الصناعة، وكمَّل أبوابها، وأخذها عنه سيبويه، فكمَّل تفاريعها، واستكثر من أدلتها وشواهدها، ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إمامًا، لكل ما كُتب فيها من بعده) [3]، وتتمثل جهود الخليل في التهذيب لهذه الصناعة، وإكمال أبوابها، أمَّا جهود تلميذه سيبويه فتتمثل في التركيز على التفاريع، والإكثار من الشواهد والأدلة، فالخليل هذّب وأكمل، وسيبويه فرع وأكثر الشواهد.

المرحلة الرابعة: مرحلة الاختصار، وقد كانت هذه المرحلة مرتكزة على جهود سيبويه، حيث لخصت القوانين والقواعد التي نشرها في كتابه، وقد اضطلع بهذه المهمة أبو علي الفارسي

---

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 22 وما بعدها.

[2] الفطافطة غسان إسماعيل، القضايا الأدبية في مقدمة ابن خلدون، ص 71.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج1، ص 425.

وأبو القاسم الزجاجي إلا أنهما كانا يحذوان حذوهُ، يقول: (ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاجي كتبا مختصرة للمتعلمين، يحذون فيها حذو الإمام في كتابه)[1].

المرحلة الخامسة: مرحلة التطويل والخلاف، ذلك التطويل الناشئ عن بدء الخلاف مما اقتضى التفصيل في المسائل، والاستشهاد والتحليل والتأويل يقول: (ثم طال الكلام في هذه الصناعة، وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة المصريين القديمين للعرب، وكثرت الأدلة والحجاج بينهم، وتباينت الطرق في التعليم، وكثر الاختلاف في إعراب كثير من أي القرآن باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك علم المتعلمين)[2]، وقد تمثل هذا الخلاف في مدرستي الكوفة والبصرة، ويصور ابن خلدون هذه المرحلة تصويرا يظهر مدى التأزم الحاصل من ذلك الاختلاف.

فكان الأثر سلبيًا، كما انعكس بدوره على إعراب الكثير من آي القرآن، فقد كثر فيه الاختلاف، وهذا مؤشر على أنّ القرآن الكريم كان ميدانا رئيسيا لهذا العلم، وحقلا معرفيا لتمحيص تلك القوانين.

المرحلة السادسة: مرحلة اختصار الخلاف والمتون، وقد اضطلع بالعمل في هذا الإطار المتأخرون من النحاة يقول: (وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصروا كثيرا من ذلك الطول، مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعلهُ ابن مالك في كتاب التسهيل، وأمثالهُ، أو اقتصارهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له وربما نظموا ذلك نظاما مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى وابن معطى في الأرجوزة الألفية)[3]، فقد عادت الحال بهذا العلم إلى مرحلة اختصار جديدة بعد التطويل الحاصل جراء الاختلاف بين البصريين والكوفيين، وقد تمثلت هذه الحركة بابن مالك والزمخشري الذي اقتصر في مفصله على مبادئ علم النحو بالنسبة للمتعلمين، وكذلك فعل ابن الحاجب، ثم تظهر مرحلة نظم هذه القواعد في متون على يد ابن مالك وابن معطي –ويشير بعد هذه الفترة إلى كثرة المؤلفات واختلاف طرق

[1] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج1، ص 425.

[2] المصدر نفسه، ص 425.

[3] المصدر نفسه، ص 425-426.

تعليمها النحو- باختلاف المدارس النحوية، يقول: (فالتأليف في هذا الفن أكثر من يحصى أو يحاط به وطرق التعليم فيه مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون والأندلسيون طرقهم مختلفة كذلك)[1].

المرحلة السابعة: مرحلة الركود، وهي على تقدير ابن خلدون باعتبارها بعد ابن مالك تحصر في أواخر القرن السابع الهجري، ومطلع القرن الثامن، أي في زمنه هو، يقول: (وقد كادت هذه الصناعة تؤذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصنائع بتناقص العمران) [2]، على أنه أشار إلى أن هذا الركود قد أصاب سائر العلوم والصنائع في تلك الحقبة، والسبب هو تناقص العمران، ولكنه في نهاية سائر حديثه عن علم النحو يشيد بجهود ابن هشام بعد المرحلة الأخيرة، وكان له ذلك بشهادة ابن خلدون، يقول: (ووصل إلينا بالمغرب هذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها وسماه بالمغنى في الإعراب وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظم سائرها، فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها وكأنه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني، واتبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالٌّ على قوة ملكته واطّلاعه)[3].

رابعا: علاقة علم النحو بظاهرة الإعراب عند ابن خلدون

يقول ابن خلدون: «وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه منها بالأشباه، مثل أنّ الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغيّر الدلالة بتغيّر حركات هذه

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 426.

[2] المصدر نفسه، ص 426.

[3] المصدر نفسه، ص 426.

الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعرابا، وتسمية الموجب لذلك التغّير عاملا... وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو»[1].

وبذلك يكون ابن خلدون قد أدرك الفرق بين النحو والإعراب، وأدرك كذلك أنّ الإعراب عنصر من عناصر النّحو، فالنحو كلّ والإعراب بعض هذا الكل، وقد نظر ابن خلدون كذلك إلى الإعراب على أنّه تغيّر في حركات أواخر الكلم، «وتسمية الموجب لذلك التغيّر عاملا»، فالإعراب وعلاماته تقترن عنده بالعامل وبذا يكون ابن خلدون قد سار على نهج القدماء في إعطاء العامل مترلته التي يستحق، فالعامل يقتضي أثرا هو الإعراب، والإعراب يقتضي مؤثرا هو العامل، فالعامل عنده أعطى تفسيرا مقنعا لاختلاف علامات الإعراب، إذا لا تأتي هذه العلامات إلا مقترنة بألفاظ معينة تنتظم معها في تركيب خاص، فالمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع[2].

والعلامة الإعرابية في نظر ابن خلدون جزء رئيس من منظومة بناء النحو العربي، وليس هي النحو في نفسه، بل تعين على تفسير البناء النحو وفق ما يطرأ عليه من تغيرات شكلية نصبت مع قرائن أخرى في بوتقة تشكيل المعنى يقول: «كانت الملكة الحاصلة للعرب في ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور، أعني المضاف إليه» [3]، ويقول أيضا: «ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعرابا»[4].

وهنا نلاحظ أن ابن خلدون قد أدرك بعدا من أبعاد المدرسة اللغوية الحديثة في ربطه بين اللفظ والمعنى، فالإعراب لا يرتبط باللفظ قدر ارتباطه بالمعنى، وخلاصة القول هنا أن ابن خلدون قد أدلى بآراء متقدمة في الفصل بين علم النحو والإعراب مع بيان كيفية الربط بينهما، فالنحو يشكل نظرية واسعة في قوانين تأليف الكلام، ووضع الكلمات في الجمل، حتى تتسق العبارات

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج4، تح: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، 2004، ص 1129.
[2] المصدر نفسه، ج4، ص 1129-1130.
[3] المصدر نفسه، ج4، ص 1129.
[4] المصدر نفسه، ج4، ص 1129.

وتؤدي معناها، فيأتي الإعراب وهو جزء من هذه النظرية الواسعة، يختص بالحركات والعامل بها وما تحدثه من أثر لا يقتصر على الملكة المفردة، وإنما يشمل كل ما ينتاب الجملة ضمن علاقات إسنادية متسقة.

وبذلك يكون ابن خلدون قد جمع بين نظرة القدماء من جهة إلى النحو على أنه انتحاء سمت كلام العرب، وبين نظرة المحدثين حيث أن النحو هو قانون تأليف الكلام بصورة منتظمة تعتمد على الإسناد حتى تتسق العبارة.

غير أن ابن خلدون قد حصر ظاهرة الإعراب على اللغة العربية وحدها دون سواها من لغات العالم، فيقول: «ليس يوجد ذلك (الإعراب) إلا في لغة العرب، وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لابد له من ألفاظ تخصه بالدلالة»[1].

ويبدو أن عدم إطلاع ابن خلدون على اللغات الأخرى بشكل تام كان السبب في إطلاقه هذا الحكم، من حيث حصر الإعراب في لغة العرب وحدها.

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج4، ص 1128.

المبحث الثاني: علم اللغة

أولا: نظريات نشأة اللغة وموقف ابن خلدون منها

ثانيا: أسباب وضع علم اللغة عند ابن خلدون

ثالثا: مراحل تطور علم اللغة عند ابن خلدون

رابعا: علم الأصوات عند ابن خلدون

أولا: نظريات نشأة اللغة وموقف ابن خلدون منها

لم يختلف الباحثون والمفكرون في مسألة من مسائل علم اللغة، كما اختلفوا حول موضوع نشأة اللغة. وقد تنوعت الآراء واختلفت المذاهب، ومع ذلك لم يصلوا إلى نتائج نهائية في هذا الموضوع، وكانت جلّ آرائهم تصطبغ بالصبغة الجدلية، يقول ماريوباي: "فما يختصّ بنشأة اللغة وطبيعتها، لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، لكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد"[1].

وقد أدى اتساع هذا الخلاف، والخوض فيه دون وصول إلى نتيجة علمية، إلى أن توصلت الجمعية اللغوية في باريس إلى قرار عدم مناقشة هذا الموضوع نهائيا، أو قبول أي بحث فيه لعرضه في جلستها[2]. ولا تعني الدراسة هنا في الخوض في هذا الباب، أو ترجيح الآراء أو تقديم رأي جديد، وإنما يتركّز اهتمامها حول بيان موقف ابن خلدون من قضيّة نشأة اللغة، ومن هنا لابد من إشارة سريعة إلى هذه النظريات التي قبلت في باب نشأة اللغة لنقف في النهاية عند رأي ابن خلدون في هذا الباب، وبيان كيفية ربطه لقضية نشأة اللغة بالجانب الاجتماعي للإنسان.

ومن أقدم المذاهب التي قدّمت لتفسير نشأة اللغة مذهب الوحي الإلهام، أو مذهب التوقيف، كما نجده عند ابن فارس في كتابه الصاحبي [3]. وقد انطلق أصحاب هذه النظرية من منطلق ديني حيث إنّ الله سبحانه وتعالى لما خلق الأشياء ألهم آدم عليه السلام، أن يضع لها أسماء لتدلّ عليها، ويستند أصحاب هذا المذهب إلى أدلة نقلية مقتبسة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى:

---

[1] باي ماريو، لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها، تح: صلاح العربي، الناشر الجامعة الأمريكية، القاهرة، دط، 1970، ص 17.

[2] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1985، ص 109.

[3] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن الغرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، دط/ 1993، ص 6 وما بعدها.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾[1]. يقول ابن فارس: "فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وغيرها"[2].

أما المذهب الثاني من مذاهب نشأة اللغة ما أطلق عليه مصطلح (المواضعة والاصطلاح)، وهو ما ذكره ابن جني، فقال: إنّ أصل اللغة لابد فيها من المواضعة، وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون عن الإنابة عن الأشياء فيضعوا لكل منها سمة ولفظا يدل عليه [3]. وقد رد بعض الباحثين هذا المذهب، لأنه لا يقوم على سند عقلي أو نقلي أو تاريخي، بل يتعارض عندهم أيضا مع النظم الاجتماعية التي لا ترتجل ارتجالا، ولا تخلق خلقا، بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها[4].

أما المذهب الثالث فهو مذهب (المحاكاة)، ويقوم على أساس أن الأصوات التي ينتجها الإنسان تكون نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء [5]. وقد عرض ابن جني هذا الرأي بقوله: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلّها، إنما هو من الأصوات المسموعة، كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء...، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد"[6].

وقد أخذ ابن جني بهذا الرأي وأيده بقوله: "وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"[7].

ومع أن هذا يبين كيفية نشأة بعض الكلمات التي تقوم على أساس محاكاة أصوات الطبيعة، إلا أنه يقصر عن تفسير نشأة الكثير من الكلمات الأخرى التي لا علاقة تربطها بأصوات الطبيعة، أو المعاني التي تؤديها.

---

[1] سورة البقرة، الآية 31.

[2] ابن فارس، الصاحبي، ص 6.

[3] أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دط، دت، ص44.

[4] عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 111. يمظر كذلك: البوريني، أحمد، اللغة العربية أصل اللغات كلها، ص 24.

[5] عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص112.

[6] ابن جني، الخصائص، ج1، ص 46-47.

[7] المصدر نفسه، ج1، ص 47.

أما عن النظرية الرابعة من نظريات نشأة اللغة فهي نظرية (التنفيس) أو (التعبير)، حيث لجأ الإنسان إلى بعض الأصوات للتعبير عن مشاعره في حالة الألم أو السرور أو النفور، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة، وبيّن فندريس تصور أصحاب هذه النظرية لنشأة اللغة بقوله: "عند هذا السلف البعيد، الذي لم يكن مخّه صالحا للتفكير بدأت اللغة بصورة انفعالية محضة..." ولعل الإنسان وقد وجد في متناول يده هذا المسلك المريح قد استعمله للاتصال ببني جنسه، أو لإثارتهم إلى عمل ما، أو لمنعهم منه. وهذا الفرض تبدو عليه مخايل الصدق، وإن لم يكن مما يمكن البرهان عليه"[1].

وتكمن أهمية هذه النظرية في أنها تعزو نشأة اللغة الإنسانية بشكل عام إلى أمر ذاتي منطلق من الحاجة إلى التعبير كما يجيش بصدر الإنسان من أحاسيس وانفعالات، ومن ثم فهي شكل من أشكال الاتصال بين البشر تلبية للحاجات والرغبات التي تدور داخل النفس البشرية، ويعبّر عنها بتلك الأصوات.

أما عن موقف ابن خلدون من قضية نشأة اللغة، فلم يتكلم صراحة على أصل نشأتها، وإنما يفهم من خلال حديثه عن اللغة وتعريفها أنها فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فالمتكلم يقصد عبر لغته إيصال أفكاره القائمة في ضميره إلى من يستمع إليه، وهذه الأصوات الناتجة تحمل ما في ضميره من معانٍ ودلالات، أي أن الكلام البشري عملية فكرية في الدرجة الأولى، يقول: "المتكلم يقصد به (الكلام) أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة ويدلّ به عليه دلالة وثيقة"[2].

فاللغة نشاط إنساني أدرك مدلوله ابن خلدون بفكره اللغوي، وهي في نظره ناجمة عن تصميم ذاتي مصدره الفكر الإنساني، بناء على ذلك يمكن القول إن ابن خلدون من أوائل الذين فسروا نشأة اللغة تفسيرا نفسيا قائما على التعبير وهدفه التواصل بين الناس، يقول: "اعلم أن اللغة هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"[3].

---

[1] فندريس، اللغة، تح: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ص38.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ج4، ص 1172.

[3] المصدر نفسه، ج4، ص 1128.

وهي عنده في الدرجة الثانية عملية اصطلاحية ينتجها المجتمع طبقا لقدرة مخلوقة في الأعضاء والأعصاب، تميّز الإنسان في ذلك عن سائر الحيوان، ويأتي بعد ذلك دور كل أمة في اختيار اصطلاحات معينة ترتبط من جانبها بدلالات معينة، يقول: "وهي في كل أمّة بحسب اصطلاحاتها"[1].

ويقرر ابن خلدون بعد ذلك أن اللغة بشكل عام ليست من وضع أناس معينين، وإنما هي نتاج ثقافي قائم على اصطلاحات تختلف من أمّة إلى أخرى وهي كذلك عائدة إلى زمن خارج عن إدراكنا، يقول: "واعلم أن النقل الذي تثبت به اللغة إنما هو النقل عند العرب أنهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني"[2].

فاللغة إذا في نظر ابن خلدون نشاط فكري سلوكي، وظاهرة اجتماعية تلازم البشر وتحيا حياتهم، أي أنها تسير على سنة التطور الذي يعتري الناس، فتميز العصور المختلفة بالازدهار الحضاري أو التخلف، وتكون اللغة دائما مرآة لهذا الرفع والخفض.

والخلاصة أن ابن خلدون قد ربط قضية نشأة اللغة بالجانب الحضاري والاجتماعي للإنسان، وبالتالي فهي ليست غريزية فيه، وإنما هي ناشئة عن حاجة وهي الاتصال الجماعي بين أفراد المجتمع، وقد وافق بعض الدارسين المحدثين رأي ابن خلدون السابق في تفسيره لنشأة اللغة، ومنهم (سابيد) حيث ذهب إلى أن الكلام هو وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان، وغير غريزية فيه، تمكنه من تبادل الأفكار والرغبات بوساطة رموز صوتية اصطلاحية تصدرها أعضاء النطق إراديا، باندفاع الهواء خلالها من الداخل إلى الخارج، فالإنسان ليس ميسّرا للكلام بطبيعته، وإنما هو عضو في مجتمع هو مضطرّ للتجاوب والتفاهم معه[3].

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج4، ص 1128.

[2] المصدر نفسه، ج4، ص 1134.

[3] حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، مكتبة الدراسات اللغوية، دمشق، دط، دت، ص29.

ثانيا: أسباب وضع علم اللغة عند ابن خلدون

إن ابن خلدون تحت هذا الباب يتطرق لعلم وصناعة لا لملكة، ويعرّف هذا العلم بقوله: (هو بيان الموضوعات اللغوية)[1]، وهو يقصد بالموضوعات اللغوية معاني الكلمات، ثم يقف على سبب وضع هذا العلم، والتأليف فيه، يقول: (وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم، حتى تأدي الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميلاً مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث)[2]، فالسبب الذي دفع إلى حفظ الموضوعات اللغوية هو عينه السبب الذي دفع إلى تقنين اللسان بقواعد النحو والإعراب، وهو شيوع العجمة، حيث أخذت بعض الألفاظ تستعمل في غير موضوعها بسبب التكيف مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، ويعود ابن خلدون هنا ليؤكد الصِّلة بين هذه العلوم والشريعة الإسلامية متمثلة بالقرآن والحديث، بل إنّه يجعل النشأة في أحضانها ولأجلها، لتصبح تلك العلوم بالفعل وسيلة لخدمة القرآن والحديث.

ثم راح يشيد باضطلاع اللغويين بهذه المهمة ودورهم الخلاق وجهودهم ومؤلفاتهم فبدأ بالخليل وكتابه العين، وأشاد بسبقه في هذا الميدان، وعرض لطريقته في التناول، يقول: (فشمَّر كثير من أئمة اللسان لذلك، وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 426.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص 426.

والخماسي، وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي، وتأتّى له حصرُ ذلك بوجوه عديدة حاضرة)[1].

ثالثا: مراحل تطور علم اللغة عند ابن خلدون

المرحلة الأولى: وقد اعتبر ابن خلدون الخليل بن أحمد الفراهيدي مرحلة بكاملها في هذا الميدان لخصت جهود جبارة في كتاب العين التي ذكرناها آنفا.

أما المرحلة التالية: فهي مرحلة تدين لمرحلة الخليل حيث اعتمد ممثلها على تلخيص كتاب العين للخليل، يقول ابن خلدون: (وجاء أبو بكر الزبيدي، وكتب لهشام المؤيد بالأندلس في المائة الرابعة، فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب، وحذف منه المهمل كله، وكثير من شواهد المستعملة، ولخصه للحفظ أحسن تلخيص)[2]. ثم تتالت الجهود في هذا الميدان بعد ذلك (فألف الجوهري من المشارقة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم، فجعل البدء منها بالهمزة، وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة لاضطرار الناس في الأكثر إلى أواخر الكلم وحصر اللغة اقتداء بحصر الخليل، ثم ألف فيها من الأندلسيين ابن سيدة... كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب، وعلى نحو ترتيب كتاب العين، وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم، وتصاريفها، فجاء من أحسن الدواوين، ولخصه محمد بن أبي الحسين...، وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار أواخر الكلم، وبناء التراجم عليها فكان توءمي رحم وسليلي أبوة، ولكراع من أئمة اللغة كتاب المنجد ولابن دريد كتاب الجمهرة ولابن الأنباري كتاب الزاهر)[3].

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 426-427.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص 427.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص 427.

ثم يعرج ابن خلدون على مرحلة جديدة في التأليف في علم اللغة وهي: مرحلة البحث عن المجازات، يقول: (ومن الكتب الموضوعة أيضا في اللغة كتاب الزمخشري في المجاز بين فيه كل ما تجوزت به العرب من الألفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات، وهو كتاب شريف الإفادة)[1].

رابعا: علم الأصوات عند ابن خلدون

سار ابن خلدون في دراسته لعلم الأصوات في مقدمته على نهج الكثير من القدماء، من حيث عدم فصله عن غيره من علوم اللغة، بل لم يفرد له بابا خاصا كأبواب اللغة الأخرى التي وقف عندها (النحو، اللغة، البيان، الأدب) وإنما جاء حديثه عن هذا العلم بصورة متناثرة في فصول مقدمته، وجعل هذا العلم بصورة عامة مرتبطا بالغناء، بل وجزءا منه بالنظر للغناء على أنه شكل من أشكال الحضارة، ومطلب من مطالبها، ومع ذلك قدم تصورا وافيا عن علم الأصوات، من حيث تعريفه، وكيفية النطق، ومخارج الحروف، والفرق بين الصوت والحرف، وغيرها من القضايا الصوتية، فيقول: "اعلم أن الحروف في المنطق، كما يأتي شرحه، هي كيفيات الأصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة أو أطراف اللسان من الحنك والحلق والأضراس، أو بقرع الشفتين أيضا، فتتغاير كيفيات الأصوات بتغاير ذلك القرع وتجيء الحروف متغايرة في السمع، وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر، وليست كلها متساوية في النطق بتلك الحروف، فقد يكون لأمّة من الحروف ما ليس لأمّة أخرى"[2].

1) الاعتماد كسابقيه، على المنهج الوصفي الذاتي القائم على الملاحظة، وهو منهج لاحقيه أيضا، في أثناء وصفه لطريقة تكوّن الصوت الإنساني في أثناء عملية النطق.

2) التمييز بين الصوت والحرف، فالحرف هو كيفيات الأصوات الخارجية من الحنجرة، والصوت ناتج عن احتكاك مخارجها، كاللهاة، وأطراف اللسان، والشفتين، وغيرها، "فتغاير

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 427.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص 327.

كيفيات الأصوات بتغاير ذلك القرع وتجيء الحروف متمايزة في السمع" [1]، وبذلك يقدّم ابن خلدون وصفا دقيقا لعملية النطق بالأصوات وما تحتاجه من وسائل في ذلك من حيث وجود جسم يتذبذب، ووسط تنتقل فيه الذبذبة، وجسم متلق لهذه الذبذبات. ويلتقي إبراهيم أنيس مع ابن خلدون في حديثه السابق عن عملية النطق في تفسيره لكيفية نشأة الصوت الإنساني، فهو "ناشئ عن ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمرّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن"[2].

وأدرك ابن خلدون في حديثه السابق عن علم الأصوات ما يسمّى عند المحدثين بـــ (علم الأصوات السمعي).

فالصوت عنده "هو ذلك الأثر السمعي الذي يصدر طواعية عن تلك الأعضاء التي يطلق عليها اسم جهاز النطق"[3].

أما الفرق الآخر الذي ميّز به ابن خلدون بين الصوت والحرف، هو أن: "الأصوات خلقها الله في عضو اللسان... وهي الرتبة الأولى في البيان"، ثم الحرف، وهو الصورة الكتابية للأصوات، وليست هبة من الله وإن كانت في المرتبة الثانية من البيان "يؤدي بها ما في الضمير... وهي رقوم باليد تدلّ أشكالها بالتواضع على الألفاظ النطقية"[4]. وبذلك يكون ابن خلدون قد ميّز بين الصوت والحرف تمييزا دقيقا.

وقد لاحظ ابن خلدون مسألة من أهم مسائل الدراسات الصوتية العامة، وهي مسألة تحديد الفونيم كوحدة صوتية مميّزة، فيقول: "فتتغاير الأصوات بتغاير ذلك القرع، وتجيء الحروف

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 327.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، معهد الدراسات العربية، مصر، دط، 1961، ص 6.

[3] إبراهيم انيس، في البحث الصوتي، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، ط5، 1975، ص 109.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 388.

متمايزة في السمع"[1]. وبذلك يكون ابن خلدون قد أدرك ما يسمى عند المحدثين بمفهوم (التغاير)، فالأصوات عنده متغايرة في السمع بناء على طريقة نطقها وخروجها من الأعضاء النطقية[2].

وأدرك ابن خلدون أثر تمايز الحروف في تكوين الكلمات، "وتجيء الحروف متمايزة في السمع، وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر، وليست كلّها متساوية في النطق بتلك الحروف"[3] وهي إشارة واضحة من ابن خلدون إلى ما يسمى عند المحدثين (باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول)[4].

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 327.

[2] زكريا ميشال، الملكة اللسانية في المقدمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1986، ص 53.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 327.

[4] دي سوسير فرديناند، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان بوقرة، الجزائر، دط، 1984، ص 52.

المبحث الثالث: علم البيان

أولا: تصنيفات علم البيان

ثانيا: أهم أعلام علم البيان وأعمالهم

ثالثا: أبرز القضايا التي طرحها ابن خلدون في علم البيان

I- علاقة علم البيان بكل من علمي النحو واللغة

II- تمثيله بأساليب العرب

III- أسباب اهتمام المشارقة بالبيان أكثر من المغاربة

رابعا: أهمية دراسة علوم البيان في فهم واستيعاب علوم القرآن

أولا: تصنيفات علم البيان

يميل ابن خلدون إلى تصنيف السكاكي لعلم البيان بمعناه العام أولا حيث يشمل فنون البلاغة، وبمعناه الخاص الذي يشمل الاستعارة والكناية، يقول ابن خلدون: (اشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالة التي للهيئات والأقوال والمقامات، وجعلها على ثلاثة أصناف: الصنف الأول: يبحث فيه عن هذه الهيئات والأقوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال، ويسمى علم البلاغة، والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستعارة والكناية، ويسمى علم البيان، وألحقوا بهما صنفا آخر وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو تصريع يقطع أو تورية على المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك، ويسمى عندهم علم البديع، وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم وهو اسم الصنف الثاني لأن الأقدمين أول من تكلموا فيه ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى)[1]. وعلى هذا الاعتبار فإن علم البيان عنده يعني البلاغة والبيان والبديع.

ثانيا: أهم أعلام علم البيان وأعمالهم

ثم يمضي ابن خلدون إلى ذكر أسماء السابقين في هذا العلم، مبتدأ بجعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة بن جعفر ومنتهيا بالسكاكي الذي يراه قد محص زبدته وهذب مسائله ورتّب أبوابه، يقول: (وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات غير وافية فيها، ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا إلى أن محصّ السكاكي زبدته وهذّب مسائله، ورتّب أبوابه على نحو ما ذكرناه آنفا من الترتيب، وألّف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو والتصريف والبيان فجعل هذا الفن من بعض أجزائه وأخذه المتأخرون من كتابه ولخصوا منه أمهات هي متداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان وابن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين القزويني في كتاب الإيضاح والتلخيص هو أصغر حجما من الإيضاح والعناية به لهذا العهد عند أهل المشرق في

[1] ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 429.

الشرح والتعليم منه أكثر من غيره)[1]، ومما يلفت النظر في هذا التأريخ السريع لعلم البيان أن ابن خلدون يعدّ السكاكي واسطة العقد الذي به اكتملت مسائل هذا العلم وألوانه وصنوفه، وعنه أخذ من جاء بعده، وهذا حكم فيه إجحاف بحق الكثيرين ممن تصدوا لهذا العلم وكان لهم قصب السبق فيه، وعلى رأسهم إمام البلاغة الجرجاني والذي يعتبر هو مؤسس هذا العلم.

ثالثا: أبرز القضايا التي طرحها ابن خلدون في علم البيان

I- علاقة علم البيان بكل من علمي النحو واللغة:

وبالعودة خطوة إلى الوراء نرى أن ابن خلدون جعل هذا العلم من العلوم المتولدة عن علم النحو واللغة، بمعنى أنه ما كان ليوجد لولا هذين العلمين، يقول: (هذا العلم حادث في الملّة بعد علم العربية واللغة)[2]، ويصنفه من العلوم اللسانية، ولعل السبب هو أنّه (متعلق بالألفاظ وما تفيده، ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني، وذلك أن الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي إما تصور مفردات تُسند ويُسند إليها ويفضي بعضها إلى بعض، والدالة على هذه هي المفردات من الأسماء والأفعال والحروف، وإما تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة ويدل عليها بتغير الحركات من الإعراب وأبنية الكلمات، وهذه كلها هي صناعة النحو يبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة لدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين، وما يقتضيه حال الفعل، وهو محتاج إلى الدلالة عليه، لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه، وإذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب)[3].

II- تمثيله بأساليب العرب:

وراح ابن خلدون يمثل لأساليب العرب مما يعده من تمام الإفادة بل غاية الإفادة حسب مقتضى الحال، يقول: (إن كلامهم واسع، ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة، ألا ترى أن قولهم: زيد جاءني لقولهم جاءني زيد أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 429.

[2] المصدر نفسه ص 428.

[3] المصدر نفسه، ص 428.

المسند إليه ومن قال زيد جاءني أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء (المسند)، وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة، وكذا تأكيد الإسناد على الجملة كقولهم: زيد قائم وإن زيدا قائم وإن زيدا لقائم، متغايرة كلها في الدلالة، وإن استوت من طريق الإعراب، فإن الأول العاري عن التأكيد إنما يفيد خالي الذهن، والثاني المؤكد بـــ (إن) يفيد المتردد، والثالث يفيد المنكر فهي مختلفة، وكذلك تقول جاءني الرجل، ثم تقول مكانه بعينه: جاءني رجل، إذا قصدت بذلك التنكير تعظيمه، وأنه رجل لا يعادله أحد من الرجال، ثم الجملة الإسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه أو لا، وإنشائية وهي التي لا خارج لها الطلب وأنواعه ثم قد يتعين ترك العاطفيين الجملتين إذا كان للثانية محل من الإعراب فَيُشْرِكُ بذلك منزلة التابع المفرد نعتا وتوكيدا وبدلا بلا عطف أو تعيين العطف، إذا لم يكن للثانية محل من الإعراب ثم يقتضي المحل الإطناب والإيجاز فيورد الكلام عليهما)[1].

III- أسباب اهتمام المشارقة بالبيان أكثر من المغاربة

ولابن خلدون إشارة تشهد بنفاذ رأيه وجرأته حول تفاوت الاهتمام بالبيان بين المغاربة والمشارقة في تلك الحقبة، فهو يرى أن (المشارقة على هذا الفن أقوم من المغاربة، وسببه أنه كمالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في العمران، والمشرق أوفر عمرانا من المغرب...، أو لنقل: لعناية العجم وهم معظم أهل المشرق كتفسير الزمخشري، وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله، وإنما اختص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة، وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية، وفرّعوا له ألقابا، وعددوا أبوابا، نوّعوا أنواعا، وزعموا أنهم أحصوها من لسان العرب، وإنما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ، وأن علم البديع سهل المأخذ، وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان، لدقة أنظارها وغموض معانيها فتجافوا عنها)[2].

يتضمن هذا النص أحكاما متعددة، منها أن ابن خلدون ربط بين العمران ووجود الصنائع الكمالية، وحصر اهتمام المغاربة بعلم البديع من بين علوم البلاغة والأدب، وبين مظاهر هذا

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 428-429.

[2] المصدر نفسه، ص 429.

الاهتمام التي تبدو من خلال تفريع الألقاب له وتعديد الأبواب وتنويع الأنواع، ثم علّل هذا الاهتمام بأن علم البديع سهل المأخذ، وأنهم كانوا آنذاك مولعون بتزيين الألفاظ، وان علوم البلاغة والبيان صعبة عليهم، لدقة أنظارها وغموض معانيها.

وقد أشاد بجهود ابن رشيق من أهل افريقية في كتابه العمدة في ميدان البديع، يقول: (وممن ألّف في البديع من أهل افريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجرى كثير من أهل افريقية والأندلس على منحاه)[1]، ومن خلال هذا يتضح لنا أن ابن خلدون اعتمد كل الاعتماد على العمدة لابن رشيق ومفتاح العلوم والتلخيص للسكاكي، وهذا يجعل الظن بأنه لم يتسنّ له الإطلاع على جهود من لم يذكر لهم أثرا في ميادين مختلفة كالجرجاني قديما والصفدي معاصرا له وغيرهما قويا.

رابعا: أهمية دراسة علوم البيان في فهم واستيعاب علوم القرآن

فها هو من جديد يعلن ضرورة تسخير علم البيان لفهم إعجاز القرآن يقول: (وأعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة هي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يُختصُّ بالألفاظ في انتفائها، وجودة وصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام من إدراكه، وإنما يُدْرِكُ بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه، فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مُبلّغة أعلى مقاما في ذلك، لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون، وأصحه)[2].

ويعود هنا ليؤكد أن طبقة من سمع القرآن وأدرك إعجازه أعلى مقاما في ذلك ممن سبقها، ولكنه يشير هنا لا إلى بلاغتهم فحسب بل إلى مداركهم مما يعني أن للبلاغة القرآنية دورا في توسيع مدارك الشعراء إضافة إلى إمدادهم بالنبع الأصيل والصافي للأساليب الكلامية الرفيعة، بل إنه يذهب إلى حاجة المفسرين إلى هذا العلم أكثر من غيرهم، يقول: (وأحوج ما يكون إلى هذا

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 429-430.

[2] المصدر نفسه، ص 430.

المفسرون)[1]، ولعل أول جهد لمفسر صب في هذا الميدان أو سخره في خدمة تفسير القرآن هو الزمخشري في الكشاف يقول: (وأكثر تفاسير المتقدمين غُفُلٌ عنه حتى ظهر جار الله الزمخشري، ووضع كتابه في التفسير، وتتبع أي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة، ولأجل هذا يتحاماه كثير من أهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة، فمن أحكم عقائد السنة، وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه أو يعلم أنه بدعة، فيعرض عنها ولا تضر في معتقده فإنه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشيء من الإعجاز مع السلامة من البدع والأهواء)[2]. فهو على الرغم من إشادته بجهود الزمخشري وسبقه وفضله في ذلك ومت أتى به من عجائب في هذا الميدان إلا أنه يحذر من لم يتمكن من عقيدته ولا يعلم ألوان البدع أن يقرأه، أما من استطاع تمييز البدعة في قوله فيتعين عليه قراءته حتى يظفر بما فيه من الإعجاز، وهو يقصد بذلك ما شاع في الكشاف من آراء للمعتزلة بوصف الزمخشري وهو معتزلي لم يمنعه من التنويه إلى ما في كتابه من فضل يمكن الاستفادة منه مع تحذيره مما قد يرد فيه من بدع وأهواء، وهذا مؤشر واضح بمصداقية آراء ابن خلدون وموضوعيته في الحكم على تصنيفات أصحاب العلوم الذين يشير إليهم.

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 430.

[2] المصدر نفسه، ص 430.

المبحث الرابع: علم الأدب

أولا: لمحة عامة عن علم الأدب

ثانيا: تصويره لثقافة أهل عصره

ثالثا: حديثه عن الشعر

- الصناعة الشعرية

أولا: لمحة عامة عن علم الأدب

ظاهرة هذا العلم أنه لا صلة له بعلوم اللسان العربي، وقد فطن ابن خلدون لهذه القضية، فحاول أن يبين وجه الصلة بينهما، فكان ما توصل إليه أن (المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنشور على أساليب العرب ومناحيهم) [1]، أما علم الأدب من حيث هو علم (لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها) [2]، وإنما هو (كلام العرب... من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفوقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العرب مع فكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة والمقصود بذلك كله أن لا يخفي على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه)[3].

وهنا يعود ابن خلدون إلى تأكيد فكرة كان قد أكثر الحديث عنها، ألا وهي أن ملكة اللسان لا تتكون إلا بالتمرس على أساليب العرب المستقاة من كلامهم، يقول: (لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه، فيحتاج إلى تقييم جميع ما يتوقف عليه فهمه)[4].

ثم ينقل ابن خلدون حد الأدب على ما اشتهر عند الأقدمين، فيقول: (ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرق يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث، إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية، فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها)[5].

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 430.

[2] المصدر نفسه، ص 430.

[3] المصدر نفسه، ص 430.

[4] المصدر نفسه، ص 430.

[5] المصدر نفسه، ص 430.

وإن كان الأدب لدى القدماء كان ذا بعد أخلاقي، ثم تطور مفهومه إلى أن أصبح يشمل المنظوم والمنثور[1].

ثانيا: تصويره لثقافة أهل عصره

وبعد ذلك يضع ابن خلدون حدودا لثقافة أهل عصره الأدبية، حيث يعطي صورة عامة عن مستوى تلك الثقافة وجودتها وذلك من خلال الترويج لمصنفات في الأدب بصفة عامة مع تحتويه من علومُ أخرى، يقول: (وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، والنوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها، وكتب المحدثين في ذلك كثيرة)[2].

فالواضح من كلامه أن تلك الثقافة الأدبية التي تثقف فيها أهل عصره وهو من بينهم لم ترتكز فقط على هذه الكتب الأربعة فحسب، وإنما هي أصول لفروع كثيرة تم الإطلاع عليها، وقد ارتكزت هذه الفروع على تلك الأصول، ولكن في كل فرع لا نعدم جديدا أو استفاضات عما سبق، ولاسيما أنه أشار إلى أن كتب المحدثين في علم الأدب كثيرة، وإن كانت تلك الكتب الأصول تتميز بميزتين اثنتين:

الأولى: أنها كتب موسوعية تشمل قضايا كثيرة بلاغية وبيانية وأسلوبية وأدبية إلى جانب الثروة اللغوية الكبيرة والأشعار والأخبار ذات القيمة العالية.

والثانية: أنها تعود لمؤلفين مشارقة مما يعطي صورة عن طبيعة الثقافة الأدبية للمغاربة وعلى رأسهم ابن خلدون، بمعنى أن ثقافة أهل المغرب الأدبية ثقافة مشرقية بامتياز، وإن كنا لا نعدم وجود مزيج بين الثقافتين، فقد مر تأثر ابن خلدون بابن رشيق كثيرا والأخذ من كتابه العمدة الآراء الكثيرة في الأدب والنقد والبلاغة وغيرها.

---

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 7 وما بعدها بتصرف.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 430.

ثالثا: حديثه عن الشعر

وينتقل ابن خلدون من العام في علم الأدب إلى الخاص، وهو الشعر، ليشير إلى علاقته بالغناء، (وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر، إذ الغناء إنما هو تلحينه)[1]، فالغناء هو تلحين الشعر، وقد أشار ابن رشيق في العمدة إلى أن الغناء موجه للشعر يستعين به الشاعر على صناعة الشعر، يقول: (مقود الشعر الغناء به، وذكر عن أبي الطيب أن متشرفا تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي أولها: جللا كما بي فليك التبريح. وهو يتغنى ويصنع، فإذا توقف بعض التوقف رجع بالإنشاد من أول القصيدة إلى حيث انتهى منها)[2]. وربما يكون هذا هو السبب الذي جدا بابن خلدون أن يجعله في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن، كما أنه أورد استخدام الكتاب والفضلاء في الدول العباسية للغناء بغية تحصيل أساليب الشعر، وهنا تظهر وظيفة جديدة له إلى ما ذكر ابن رشيق وهي تحصيل أساليب الشعر وفنونه، يقول: (وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه، فلم يكن انتحاله قادحا في العدالة والمروءة)[3].

والدليل الذي ساقه ابن خلدون تأكيدا لعدم اعتبار الأخذ قدحا في العدالة والمروءة أن هارون الرشيد اختار له المغنون مائة صوت أوردها الأصفهاني وسمى بها كتابه الأغاني، مع ورد الكثير من أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم ودولهم وأشعارهم فيه، يقول: (وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصفهاني في كتابه في الأغاني جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوتا التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه ولعمري أنه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر

[1] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 431.

[2] ابن رشيق القيرواني، الإمام أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1، تح: د.محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 381.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص 431.

والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب، ويقف عندها، وأنّى له بها؟)[1].

صحيح أنه لم يذكر كتاب (الأغاني) في جملة الكتب التي كونت الذخيرة الثقافية الأدبية لديه أو لنقل الفكر الأدبي في عصر ابن خلدون إلا أنه عده ديوان العرب، وغاية الأديب التي يسمو بها ويقف عندها. كما فرّق بينه وبين النثر من خلال زاوية نظره الحادّ فأخذ بالشعر ورآه هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصّل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كلّ جزء منها في غرضه ومقصده عمّا قبله، وما بعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به [2]. بهذا التعريف يكون ابن خلدون قد حدد العناصر التي يُحكم من خلالها على الشعر من دونه. وأهمها جريانه (على أساليب العرب)، فإن لم يجر على تلك الأساليب، وإن احتوى جميع العناصر الأخرى، فإنّه لا يُعدّ شعرا وإنما هو كلام منظوم، لأن الشعر له أساليب تخصّه لا تكون للمنثور لا تكون للشكر، فيقول: (فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعرا)[3]. وابن خلدون في حدّه للشعر "بالاستعارة والأوصاف والجريان على أساليب العرب"[4].

يضع حدا فاصلا بين الشعر والنثر مبينا بذلك الاتجاه الذي جرى عليه الكتاب المتأخرون "وقد استعملوا أساليب الشعر وموازينه في المنثور، من كان كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسب بين يدي الأغراض، وصار هذا المنثور إذا تأملته في باب الشعر وفنه لم يفترقا إلا في الوزن"[5]. وبذلك ينبّه على خطورة ضياع الحدود بين الشعر والنثر، فلكل مقام ما يناسبه، ولكل حال ما يلائمه، فالنسيب مختص بالشعر، والحمد الدعاء مختصان بالخطب.

والخلاصة أن ابن خلدون وإن نظر إلى (الشعر والنثر) على أنهما يحملان قدرا مشتركا هو (الأدب)، إنهما يفترقان من حيث الهدف الذي يقصد من الموضوع، فإن قصد المبدع التأثير فالشعر

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 431.
[2] ابن خلدون، المقدمة، ج4، تح: عبد الواحد وافي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، 2004، ص 1162.
[3] المصدر نفسه، ج4، ص 1163.
[4] المصدر نفسه، ج4، ص 1162.
[5] المصدر نفسه ، ج4، ص 1161.

أنسب حيث خلط الجدّ بالهزل والإطناب بالوصف، وكثرة التشبيهات والاستعارات، وإن قصد الإقناع كان النثر أولى، ومن هنا ميّز بين النظم والنثر في الغرض واللغة والوظيفة.

– الصناعة الشعرية

أو كيفية نظم الشعر: إن الشاعر كثيرا ما يقترن عند ابن خلدون بالحرفي الماهر الذي عليه أن يحضر أدواته الفنية لإنجاز المهمة التي يرومها، لأن مؤلف الكلام هو كالبناء أو النساج، والصورة الذهنية المنطقية كالقالب الذي يبني فيه أو المنوال الذي ينسج عليه، فإن خرج عن القالب في بنائه أو على المنوال في نسيجه كان فاسدا[1].

وأوّل هذه الأدوات التي ينبغي للشاعر الأخذ بها قبل الاستعداد لنظم الشعر حصول الملكة فالشاعر إذا أراد أن ينظم قصيدة فما عليه إلاّ أن يستحضر القوالب في نفسه، ثم أن يملأه بالقوالب الصغيرة أو التراكيب، وهذه القوالب لا تولد مع الإنسان، وإنما ينالها بالحفظ والمران، ومن هنا نظر إلى الشعر على أنّه ملكة يكتسبها الإنسان كغيرها من الملكات، "لأن اللغات كلّها ملكات في اللسان للتعبير عن المعاني، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم الغاية من التعبير عمّا يرى"[2].

وهذه الملكة الشعرية لا تنال في نظر ابن خلدون إلا بالحفظ أولا، ومن ثم التكرار، "لأن الفعل يقع أولا وتعود منه صفة للذات، ثم تكرر فتكون حالا، والحال صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتصير الحال صفة راسخة أي ملكة"، ولابد له، أي الشاعر، وقد ذهبت ملكة اللسان المضري أن يأخذ نفسه بحفظ الجيّد والمختار من روائع الشعر والنثر "حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها"[3].

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج4، ص 1161.

[2] المصدر نفسه، ج4، ص 1161.

[3] المصدر نفسه، ج4، ص 1169.

الخاتمة

الخاتمة

باعتبار أن هذا المؤلف يمثل حصيلة قرون عديدة من الكدّ والجدّ كانت هذه الدراسة لمقدمة ابن خلدون لاستجلاء المباحث اللسانية في هذا إلى نتائج من أهمها وفق منهج وصفي استقرائي:

1) ترجع نشأة البحث اللغوي إلى العصور الأولى لظهور القرآن وبروز الحديث، وظهرت هذه العناية من خلال إسهامات بعض العلماء في مؤلفاتهم النحوية والصوتية والصرفية...

2) تجلّت أهم مواضيع البحث اللغوي آنذاك في الجانب الصوتي والجانب النحوي، والصرفي، وكذا دلالي. كذلك درست من خلال عدة مناهج أهمها المنهج المقارن والتاريخي والصوفي...

3) مرّ كل من هذه المستويات الأربعة بالعديد من التغيرات الجذرية من قبل العلماء القدامى فالمحدثين فالمعاصرين إلى أن وصلتنا بقالبها هذا ومع ذلك بقي لبها وجوهرها هو نفسه من منبعه الأصلي القديم.

4) تطرق ابن خلدون من خلال مقدمته إلى علوم اللسان متجسدة في علم النحو وقد كانت له الأسبقية في ذلك على العلوم الأخرى، بالإضافة إلى علم اللغة وعلم البيان وعلم الأدب.

5) درس ابن خلدون علوم اللغة من زاوية نظره بالإضافة إلى نظرة علماء عصره آنذاك وآرائهم اللغوية في ذلك.

6) لم يأخذ العلامة مادته العلمية من المشارقة فحسب بل راح ينهل ويستقي من علوم المغاربة كذلك.

7) اهتم ابن خلدون في علم النحو بأهم مراحله التي مرّ بها بالإضافة إلى بيان علاقته بالإعراب خاصة.

8) كانت اهتماماته في علم اللغة في نظريات نشأة هذا العلم وموقفه منها ودرس فيه كذلك علم الأصوات.

9) أما علم البيان عند ابن خلدون فاهتم بتصنيفاته وأعلامه وطرح قضاياه المدروسة.

10) درس عبد الرحمن ابن خلدون أهم شيء في علم الأدب هو الصناعة الشعرية.

11) ترجمت المقدمة ونشرت وطبعت من طرف العديد من العلماء ودور النشر.

12) جاء كتاب العبر مقسما على سبعة (7) مجلدات درس في كل واحد منها مواضيع اجتماعية وكذا تاريخية... متنوعة.

أما جوهر المقدمة فقد جعله في ستة (6) أبواب طرق فيها أبحاثا عديدة ومختلفة من سياسة وتاريخ وأدب واجتماع واقتصاد... وغيرها من العلوم.

13) ألف ابن خلدون عدة أعمال علمية وكذا أدبية أهمها مقدمته المشهورة لكتاب في التاريخ ضخم الموسومة بـــ: "كتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".

14) كان العلامة من أسرة ذاع صيتها آنذاك بالعلم والسياسة تقلد عنها هو الآخر مهام علمية ودبلوماسية مرموقة.

ولا يسعنا إلا القول بضرورة العودة إلى التراث لأنه ثري حقيق بالإفادة ودراسته دراسة تمحيصية تبين جهود أسلافنا ومحاولة الاستفادة منها في عصرنا.

وفي نهاية هذا المشوار، نرجو أن نكون قد وفقنا في الإلمام بكافة جوانب هذا الموضوع، ومسك الختام بهذه الأبيات:

ولقـــد ختمت بذا الختام مقالـــتي وعلـــى الإلـــه تـــوكلي وثنـــائي
إن كان توفيقا فمن رب الـورى والعجـــز للشـــيطان والأهـــــواء
فـــي حينها أدعو الـــذي بدعائه يمحـــو الخطـــأ ويزيـــد في النعماء
ســـبحانك اللهـــم ثـــمَّ بحمدك أســـتغفرك وأتـــوب مـــن أخطائي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المعاجم:

1 -جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج 2، ت: جمال الدين محمد، دار الصادر، بيروت، 1410هـ.

2 -الخليل بن أحمد، العين، تح: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، دط، 1967م.

3 -محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، دت.

المصادر والمراجع:

1 -إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، معهد الدراسات العربية، مصر، دط، 1961م.

2 -إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984م.

3 -إبراهيم انيس، في البحث الصوتي، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، ط5، 1975م.

4 -إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني، بغداد، دط، 1966م.

5 -إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1951م.

6 -ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج 1، تح: د.محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

7 -ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن الغرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، دط، 1993م.

8 -ابن النديم، الفهرست، تح: مصطفى الشويحي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، دت.

9 -أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1994م.

10 -أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996م.

11 أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، (أهميتها ومصادرها ووسائل تنميتها)، عالم المعرفة، دط، 1996م.

12 أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005م.

13 الأشموني، شرح الأشموني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، دت.

14 باي ماريو، لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها، تح: صلاح العربي، الناشر الجامعة الأمريكية، القاهرة، دط، 1970م.

15 البخاري، صحيح البخاري، ج1، المطبعة السلفية، ط1، 1980م.

16 تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت.

17 تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1986م.

18 تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، دت.

19 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنانـــ دط، دت.

20 حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، مكتبة الدراسات اللغوية، دمشق، دط، دت.

21 حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار العلم، دمشق، ط1، 1990م.

22 حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2003م.

23 د.حنيفي بن ناصر و د.مختار لزعر، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، الجزائر، دط، دت.

24 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، حيدرة، الجزائر، دط، 2000م.

25 خير الدين الزركلي، الاعلام، ج15، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 2002م.

26 رجاء محمود أبو علام، مدخل إلى مناهج البحث التربوي، مكتبة الفلاح، ط 3، 1424هـــ.

27 رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، ط3، 1997م.

28 ريمون الطحّان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط2، 1911م.

29 الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النقائص، بيروت، لبنان، ط 5، 1986م.

30 زهير بن أبي سلمة، ديوان زهير، شرح: حمد وطاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2005م.

31 سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م.

32 سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو: تاريخ ونصوص، الجامعة اللبنانية، دط، دت.

33 سهيلة زين العابدين، نظرية الدولة عند ابن خلدون، ج5، مجلة المنار،دط، 1992م.

34 سيبويه، الكتاب، تح: اميل بديع بعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط 1، 1999م.

35 السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج 1، المكتبة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت.

36 السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط5، دت.

37 الإمام الشافعي، ديوان الشافعي، جمع وتحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 2004م.

38 شرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002م.

39 شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 4، دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان، دط، دت.

40 صابر بكر أبو السعود، النحو العربي دراسة نصية، دار الثقافة للنشر، دط، 1988م.

41 صالح بلعيد، النحو والصرف، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1998م.

42 صالح بلعيد، مصادر اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1994م.

43 ضيف شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط7، دت.

44 طاهر سليمان حمودة، نصوص مختارة في كتب النحو، الدار الجامعية، دط، دت.

45 ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، تقديم: حسن شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، دط، 2002م.

46 عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج 1، دط، دت.

47 عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ج 7، دار الكتاب اللبناني، لبنان، دط، دت.

48 عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م.

49 عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

50 عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج 4، تح: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، 2004م.

51 عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المطبعة الأزهرية، مصر دط، 1930م.

52 عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط2، دت.

53 عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، دار الفكر العربي، ط1، 1969م.

54 عبد العزيز عتيق، مدخل إلى علم النحو والصرف، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، دت.

55 عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح، دار بن الفجاءة، قطر، دط، 1985م.

56 د.عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين، دط، دت.

57 عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء، الأردن، ط1، 2004م.

58 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة القاهرة، مصر، دط، دت.

59 عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984م.

60 عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي، دار الشروق، جدة، ط 6، 1416هـ.

61 عبيدات دوقان، البحث العلمي، دار إشراقات، عمان، الأردن، دط، 1424هـ.

62 عثمان بن جني أبو الفتح، الخصائص، ج 1، تح: محمد علي النجار، دار المعارف، القاهرة، دت.

63 العسقلاني بن حجر، مطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ج 1، تح: عبد الله بن عبد المحسن أحمد التويجري، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م.

64 فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان بوقرة، الجزائر، دط، 1984م.

65 فندريس، اللغة، تح: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص.

66 محمد الأنباري أبو بكر، تاريخ الأدباء النحاة المسماة: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، جمعية مآثر العرب، دط، دت.

67 محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1986م.

68 محمد طالبي، منهجية ابن خلدون التاريخية، دار الحداثة، بيروت، لبنان، دط، 1981م.

69 محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تعليق: عبد العظيم الشناوي، المملكة العربية السعودية، دط، دت.

70 محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1993م.

71 محمد عبد الله القواسمة، معالم في اللغة العربية، مركز الكتابة الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 1999م.

72 محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2009م.

73 محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، دط، دت.

74 محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1983م.

75 محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.

76 مصطفى السعداني، المدخل اللغوي في الشعر، منشأة العرف الإسكندرية، مصر، دط، دت.

77 مصطفى غالب، ابن خلدون، دار مكتبة الهلال، مصر، دط، دت.

78 ملحم سامي محمد، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار المسيرة، ط3، 1426هـ.

79 مناف مهدي محمد، علم الأصوات اللغوية، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

80 ميشال زكريا، الملكة اللسانية في المقدمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1986م.

81 نايف حزما، أضواء على الدراسات اللغوية، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1978م.

82 نايف سليمان، حسن قراقيش، عادل جابر، محمد الحموز، عبد المؤمن أو العسل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1420هـ-2000م.

83 نايف معروف، عادل جابر، خالد فلاح، الجامع في اللغة العربية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط4، 1996م-1416هـ.

84 خايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، عمان، ط1، 1985م.

85 نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية، دط، 2006م.

الرسائل الجامعية:

الفطافطة غسان إسماعيل، القضايا الأدبية في مقدمة ابن خلدون، رسالة ماجستير مطبوعة، الجامعة الأردنية، 1989م.

«أوّلُ العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل، والخامس نشره».

[الأصمعي].